الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي التبسي –تبسة–
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة و الأدب العربي

نقد وسائل الإعلام بين مارشال ماكلوهان وبيير بورديو

بحث في الإبدالات والبدائل

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص تحليل خطاب

إعداد الطالبتين:
حنان بن نجوع
صبرينة بومحداف

إشراف الأستاذ الدكتور:
عمر زرفاوي

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
سعد الله مكي	أستاذ مساعد –أ–	جامعة العربي التبسي	رئيسا
عمر زرفاوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة العربي التبسي	مشرفا و مقررا
منصورية فتحي	أستاذ مساعد –ب–	جامعة العربي التبسي	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2016/2015

PersianGraphics.com

شكر وعرفان

الحمد لله الذي هدانا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا.

الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم. وأخرجه من ظلمات الجهل إلى نور العلم والمعرفة.

الحمد لله الذي أعاننا ووفقنا في مشوارنا الدراسي.

الحمد لله حمدا كثيرا والشكر له سبحانه شكرا يوازي عونه وتوفيقه لنا لإتمام هذا الجهد الذي لطالما حلمنا بتحقيقه.

يسرنا أن نتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى كل ما ساعدنا في إنجاز هذا البحث ونخص بالشكر الأستاذ الدكتور عمر زرفاوي على التوجيهات والتوصيات التي قدمها لنا أثناء إعداد البحث كما نتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير إلى الأساتذة أعضاء اللجنة المناقشة على قبول قراءة هذا العمل وتشريفهم لنا بمناقشته لنستفيد من خبراتهم العلمية في هذا الميدان.

مقدمـــة

لقد عاشت المجتمعات حالات من النمو والتطور التقني بجانبيه الفني والبشري، بعد أن اجتازت العديد من الشعوب تجارب سياسية وديمقراطية صعبة دفعت فيها الثمن غاليا وقادتها في النهاية إلى تعميم تجارب الديمقراطية، وفتح آفاق فكرية جديدة ما كان لها أن تنتشر لولا التطور والنمو الهائل في الجانبين التقني والبشري، وانتشار أفكار الحرية والديمقراطية والتعددية التي سارت جنبا إلى جنب مع التطورات الهائلة في مجال تقنيات الطباعة والبث والنقل الحي والمباشر عبر الفضاء، والتي سمحت للأفراد بالرؤية عن بعد والإطلاع والحوار ومعرفة بعضهم البعض، ونقل تجاربهم ومعطياتهم وانجازاتهم فيما بينهم وصولا إلى حالة الانتشار والتعميم.

وفي ظلّ هذا التزايد للمعلومات في العصر الحديث أصبحت المعلومات تمثل مصدر قوة وتميّز لمن يمتلكها ولمن يستطيع الوصول إليها، فعلى المستوى العام للمجتمعات تسعى معظم الأنظمة، كالنظام السياسي والاقتصادي وغيرها، للحصول على المعلومات من أجل بقاء النظام وقدرته على التفاعل مع المجتمع، والأنظمة الأخرى وعلى المستوى الخاص أيضا يسعى كل فرد إلى الحصول على المعلومات لتحقيق أهداف ومصالح اجتماعية وغايات نفسية تضمن بقاءه بتحكيم سلطته التي تتأسس عن طريق امتلاك وسائل الإعلام كأحد أقوى المصادر المعرفة والحقيقة.

وبالتالي شهدت العقود الأخيرة من القرن الماضي بروز ما يسمى بالمجتمع الإعلامي نتاج اندماج بين ثلاث ثورات:

1-ثورة المعلومات والمتمثلة في انفجار معرفي ضخم في أشكال وتخصصات ولغات متعدد.
2-ثورة وسائل الاتصال متمثلة في تكنولوجيا الاتصال الحديثة والتي بدأت السلكية واللاسلكية، مرورا بالتلفزيون وصولا إلى الأقمار الصناعية.

3-ثورة الحاسبات الإلكترونية، بحيث توغلت هذه الأخيرة في جميع جوانب الحياة الإنسانية مندمجة مع وسائل الاتصال المختلفة.

فكل هذه الثورات شكّلت مظاهر المجتمع الإعلامي الجديد وعبّرت عن انتقال العالم من عصر الطباعة لغونتبورغ إلى القرية الكونية" لمارشال ماكلوهان" ولا جرم أنّ هذا التحول

سيفرز لا محالة لمشروع حضاري جديد، وتامة في الرؤى والأفكار أهمها العولمة التي تظهر لنا نحن كعرب فرصة لنظمه الحضارية تختصر الزمن فأقبلنا عليها بسرعة البرق وتسابقنا على استيراد هذه الوسائل وتعلمنا استخدامها على أمل الانفتاح أواصر الحوار مع الآخر بهدم جدار الحدود الجغرافية تحت ما يسمى التمازج الثقافي، واللحاق بركب الحضارات المتطورة (العالم المتقدم).

إنّ هذه الرؤيا التي رسمها الإنسان في كل مكان اثر ما تقدمه لنا العولمة من تنوع في منظومات الوسيط، وفي خضم هذا التطور السريع والمخيف لاستعمالاته التي بقدر ما تلاقت فيه الأنفس بقدر ما تفرقت وتغربت.

ارتأينا أن نختار هذا الموضوع الذي بحثنا فيه خفايا وكواليس هذه المنظومات، وسعينا إلى مساءلة ما أنتجه عصر الوسيط من تشويشات في الرؤى وما ستخلفه من طمس في الهوية.

موضوعنا الذي يندرج تحت عنوان "نقد وسائل الإعلام بين مارشال ماكلوهان وبيير بورديو (بحث في الإبدالات والبدائل) من أهم الموضوعات التي تشغلنا نحن كدارسين وتشغل الرأي العام، لأنّ هذه الوسائط قلبت الموازين فعلا فمن يملكها يملك الحقيقة وبالتالي يتمتع بسلطة الأمر والنهي داخل المنظومات الرمزية التي يعيش ضمنها الفرد كما تعرضنا إلى ما انتجته العولمة من تقنية أصبحت تهدد قيمنا و مبادئنا، كما عالجنا أيضا اشكالات متعلقة بخطورة انتشار هذه الوسائل، وهل لها دور في تراجع وانهيار القيم الروحية والإنسانية لصالح القيم المادية؟

فهل للمنظومات الرمزية يد في هذا كله؟ وإذا كان ذلك صحيح كيف تتحول هذه الوسائل إلى آليات للضغط والتحكم وضع القرار السياسي بعد أن كانت وسائل للتسلية؟

ومن يملك بالتحديد هذه الوسائل؟

وهل نحن أمام حتمية أخرى لا بدّ أن يتحرر منها الإنسان؟

ولقد اخترنا أن ننقد هذه الوسائل في ضوء ما قدمه لنا عالمين وباحثين غنيين عن التعريف، الأول "مارشال ماكلوهان" نبي الاتصال الحديث التي أحدثت آراءه ونظرياته التي يعتقد فيها بأنّها الكفيل بإعادة انسان الخطيئة إلى جنة عدن بعد أن غادرها إثر ظهور الطباعة التي كانت حدا فاصلا بين حقبة التواصل الشفهي، والتواصل المكتوب لأنّها تقوم بدور فعّال في ربط الناس في كل أنحاء العالم وإعادة العالم إلى التجانس الذي لطالما ميّز حياة الإنسان في المجتمع البسيط بحيث كان "ماكلوهان" يرجو حسب تقديره إلى قيام القرية الإلكترونية العالمية.

أمّا الباحث الثاني الفرنسي الأصل "بيير بورديو" الذي فضل آلية النقد وجنّد كلّ رؤاه ومعارفه العلمية لذلك، معتمدا على علم الاجتماع كوسيلة لنقد هذه الوسائل خاصة التلفزيون باعتباره الأكثر جماهيرية وتأثيرا في أذواق الناس وقناعاتهم، والأهم أنّه يعتمد على الصورة كمادة له التي ومنذ نشأتها، أصبحت مرتبتها تنافس مؤسستي الأسرة والتعليم فنحن نقضي أمام التلفزيون وقت أكثر بكثير مما نقضيه على مقاعد الدراسة أو مع أسرنا.

ولقد اشتمل الدراسة على فصلين الفصل الأول: تضمن أربع مباحث:

المبحث الأول: بمثابة لمحة عن حياة نبيّ الاتصال الحديث وأشهر ما قدمه من أفكار ورؤى. المبحث الثاني: تعرضنا إلى ما تم التبشير به والاستشراف المستقبلي(القرية الكونية) لنبيّ الاتصال التي جعلت الشعوب على رغم اختلاف مواقعها تنصهر في بوتقة واحدة حيث تقضي على الفردية نحو مجتمع عالمي جديد.

المبحث الثالث: تعرضنا لنظرية "مارشال ماكلوهان التي ظهرت قبل نحو أربعين عاما وماتزال حتى اليوم أكثر النظريات الإعلامية انتشارا ووضوحا في الربط بين الرسالة والوسيلة الإعلامية، والتأكيد علة أهمية الوسيلة في تحديد نوعية الاتصال و تأثيره، بحيث يرى بأنّها

هي الرسالة(Le Message c’est le medium) ويوضح بأنّ مضمون وسائل الإعلام لا يمكن النظر إليه مستقلا عن تقنيات الوسائل الإعلام.

المبحث الرابع: فسنتعرض لبعض الآراء ومواقف منتقديه.

أماّ الفصل الثاني: بعنوان نقد وسائل الإعلام ويتضمن أربعة مباحث

المبحث الأول: هو عبارة عن نبذة وجيزة لمسار "بيير بورديو" الفردي والفكري مركزين في ذلك على مجهوده النضاليّ.

المبحث الثاني: تمفيه البحث على مستويين المستوى المباشر عالجنا فيه دور الوسيط في التأثير على الرسالة، واعتماد الوسيط المرئي على الصورة التي يصعب الحسم في ماهيتها هل فعلا تنقل الحقيقة أم تغيبّها أم نضعها من جديد؟ أمّا المستوى غير المباشر: فيتمثل في علاقة الوسيط بالأيديولوجيا وتجاوزه للتأثير المباشر على المتلقي إلى التأثير أشمل لامس مجلات الإنتاج الثقافي.

المبحث الثالث: في هذا المبحث ركزنا على مجهودات "بورديو" في نقده للتلفزيون الذي اعتبره وسيلة للعنف الرمزي وأدلة جبارة لتشكيل الوعي وتوجيهه بمساهمة المجال الصحفي والاقتصادي اللذين عملا على حصر الإنسان في البعد المادي وتشويه المنتوج الثقافي بتكريس أسماء على غير مسمياتها.

المبحث الرابع: وبما أنّ النقد هدفه الإصلاح وفيه نتجاوز النقد والوصاية المطلقة سنحاول جاهدين في هذا الجزء لإبراز بعض المواقف الناقدة لهذا الباحث، هذا وإن دلّ على شئ فإنّه يدل على نجاح الباحث وتمكّنه، فكل أعماله أثارت ضجة كبيرة بين مؤيد لنظرياته ومعارض له، فالنقد آلية تحافظ على التطور والتحسن، إنّ "بورديو" بنظرته العلمية والفاحصة يرى ذلك أيضا عندما سعى لنقد هذه الوسائل وحذر الفرد والجماعة من أهدافها المضاعفة بين التسلية والتحكم.

وقد اعتمدنا في بحثنا المتواضع المنهج التحليلي المناسب والملائم لما قدمناه من تحليلات وتضارب في الآراء.

أما بالنسبة للصعوبات التي واجهتنا فأولها الترجمة، وصعوبة الحصول على المراجع هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فالموضوع التي تمت دراسته يعتبر من المواضيع الجديدة التي قلما تعرض لها الباحثون أو الدارسون.

لينتهي البحث بخاتمة: تمّ فيها حوصلة لأهم النقاط التي تطرقنا إليها في بحثنا المتواضع.

الفصل الأول:

مارشال ماكلوهان ونبوءة القريةالكونية.

المبحث الأول: مارشال ماكلوهان ونظرية الاتصال الحديثة.

المبحث الثاني: مارشال ماكلوهان ونبوءة القرية الكونية.

المبحث الثالث: الوسيلة هي الرسالة.

المبحث الرابع: رؤية مارشال ماكلوهان لوسائل الإعلام في ميزان النقد.

المبحث الأول: مارشال ماكلوهان ونظرية الاتصال الحديثة

يعد العالم الكندي "مارشال ماكلوهان"(Marshall McLuhan) من أشهر منظري وسائل الإعلام، بفضل الثورة التي أحدثتها كتاباته الشهيرة في هذا المجال، ولعلّ أشهر هذه الكتب هي:

- مجرة غوتبرغ la galaxie gutenberg (1962).
- معرفة وسائل الإعلامpour comprendre les media (1964).
- الحرب والسلم في القرية الكونية guerre et paix dans village planetaire (1968).

وقد بشرت هذه الدراسات الإنسانية بتحول حضاري لم يسبق له مثيل في تاريخ الإنسانية لذلك أطلقت عليه تسمية "نبي العصر الإلكتروني" وأضحى أشهر مثقف داخل كندا وخارجها، نتيجة إشعاعيته الفكرية الإعلامية العالمية. يصرح هذا العالم في مقدمة كتابه" معرفة وسائل الإعلام" بأنّ الكتب المنشورة لا تتجاوز عادة 10 بالمئة من الأفكار الجديدة، تسهيلا لفهمها واستيعابها وتمثلها من طرف جمهور القراء، فالمؤلفون يجارون عادة ولا يثقلون عليهم، والمثل يقول: خاطبوا الناس بما يفهمون.

وقد أدرك "ماكلوهان" بفضل وعيه الحضاري وروحه الاستشرافية الدور التاريخي والحضاري الذي تقوم به وسائل الإعلام في العصور الحديثة، إنّها السلطة الرابعة–كما اصطلح على تسميتها – التي تتحكم في صنع المصير الإنساني.[1]

[1]– الطيب بودربالة :«سيميائية الإعلام: مارشال ماكلوهان نموذجا»،محاضرات الملتقى الوطني الثالث، السمياء والنص الأدبي، منشورات جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2004،ص1.

ووفقا لهذا يرى المفكّر الكندي "مارشال ماكلوهان "* أنّ وسائل الإعلام تحول إلى قرية عالمية، تتصل في إطارها جميع أنحاء العالم ببعضها مباشرة كذلك تقوى تلك الوسائل الجديدة العودة للقبلية في الحياة الإنسانية، فعالمنا أصبح عالما من نوع جديد توقف فيه الزمن، واختفت فيه المساحة لهذا بدأنا مرة أخرى في بناء شعور بدائي ومشاعر قبلية كانت قد فصلتنا عنها قرون قليلة من التعليم علينا الآن أن ننقل تأكيد انتباهنا من الفعل إلى رد الفعل، ويجب أن تعرف الآن نتائج أي سياسية أو أي عمل حيث أنّ النتائج تحدث أو يتم تجربتها دون تأخير وبسبب سرعة الكهرباء لم نعد نستطيع أن ننتظر ونرى، ولم تعد الوسائل البصرية المجردة في عامل الاتصال الكهربائي السريع صالح لفهم العالم.[1]

وفي الوقت الذي يشير فيه "ماكلوهان" إلى أن وسائل الأعلام الإلكترونية ساعدت في انكماش الكرة الأرضية وتقلصها في الزمان والمكان، حتى أصبحت توصف بـ(القرية العالمية)وبالتالي زاد وعي الإنسان بمسؤوليته إلى درجة قصوى، فإنه يرى أيضا، أن هذه الحالة الجديدة أدت إلى ما يمكن تسميته بـ(عصر القلق) لأن الثورة الإلكترونية الفورية الجديدة تجبر الفرد على الالتزام والمشاركة بعمق، وبغض النظر عن وجهة النظر التي يتبناها، فوجهة النظر الخاصة الجزئية مهما كان مقصدها لن تغير في عصر الكهرباء والإلكتروني الآلي الفوري، وربما يكون هذا الرأي وغيره يمثل الأرضية التي نبع منها مفهوم (العولمة).

الذي أصبح يتردد في السنوات الأخيرة، وكان أحد الباحثين قد اسماه من قبل بـ(لحظنة التواصل الحضاري الإعلامي).

[1]–ماتلار (أرمون وميشال)، تاريخ نظرية الاتصال، تر نصر الدين العياضي، دار الفكر العربي،بيروت، ط3، سنة2005، ص140.

اختص" ماكلوهان" أساسا في النقد الأدبي، وكانت إحدى كتاباته الأولى عن المنطلقات (الشعرية والبلاغية) سنة 1943م،والتي قال عنها "**دريك**" بأنّها تمثل مفتاح كل من تكوينه السابق في النقد الأدبي، وإبداعه في النقد الإعلامي، وقد كان موضوع أطروحة الدكتورا التي قدمها سنة 1943م عن مكانة "توماس نيش" في علم الأزمنة، واعتمد في دراسته على البعد

الإدراكي والفنّي ، أي الانتقال من اهتمام بمعنى النص ومضمونه إلى شكل النص وجمالية التلقي.[1]حيث يركز على المؤلف على حساب العناصر الأخرى، وقد كانت جمالية التلقي كما بلورها "ياوس"انطلاقا من النظريات التي تتعلق بالمعنى ، والعمل الأدبي، ووظيفته.كماقام "ماكلوهان " بالتقسيم في رأيه تطور التاريخ إلى أربع مراحل:أ- **المرحلة الشفوية:** تعتمد كلية على الاتصال الشفهي، مرحلة ماقبل التعلم أي المرحلة القبلية وقد استغرقت معظم التاريخ البشري.**ب- مرحلة كتابة النسخ:** التي ظهرت بعد هومر في اليونان القديمة واستمرت ألفي عام.**ج- عصر الطباعة:** من سنة 1500م إلى سنة 1900 تقريبا.**د- عصر وسائل الإعلام الإلكترونية:** من سنة 1900م تقريبا حتى الوقت الحالي[2]

[1]- نورالدين تواتي:« مارشال ماكلوهان قراءة في نظرياته بين الأمس واليوم»، مجلة العلوم الإنسانية، العدد العاشر، مارس 2013، ص178.

[2]- المرجع نفسه،ص179.

المبحث الثاني: مارشال ماكلوهان ونبوءة القرية الكونية

إنّ أول من أطلق مصطلح القرية العالمية هو العالم الكندي "مارشال ماكلوهان (the global village) عام 1964م لوصف المتغيرات في تكنولوجيات الاتصالات، التي بدت على أنّها تقوم برسم العالم بأكمله ليصبح نوعا من المدينة الصغيرة التي يتسم ربطها الكترونيا، فالتطورات التكنولوجية الحديثة التي شهدها قطاع المعلومات من غزو الفضاء بالأقمار الاصطناعية وعولمة الشبكات المعلوماتية، وطغيان المطبوعات العامة والمتخصصة، سيؤدي ليس فقط إلى بناء القرية الكونية العالمية، ولكن قد يفر أيضا عن جامعة ومدرسة عالمية تسيرها أدوات الكترونية عن بعد. [1]فقبل اختراع المطبوع ووفقا لما يقول "مارشال ماكلوهان": «فإنّ الناس يتكيفون مع الظروف المحيطة عن طريق توازن الحواس الخمس مع بعضها البعض، لأنّ التواصل القبلي القديم يسيطر على حواس النّاس، حيث كانت حاسة السمع هي المسيطرة، فالإنسان في عصر ما قبل التعلّم كان التعلم كان يعيش في عالم به أشياء كثيرة في نفس الوقت».[2]

بمعنى في عالم الأذن حيث يفرض الواقع نفسه من جميع النواحي.

ويقول:"مارشال ماكلوهان" : في كتابه (مجرة جوتبورغ) سنة 1962م: « أنّ اختراع الطباعة بالحروف المتحركة، ساعد على تشكيل ثقافة أوروبا الغربية في الفترة ما بين 1500م و1900م، فقد شجع الإنتاج الجماهيري للمواد المطبوعة على انتشار القومية لأنّه

[1]–محمد رجب، الإعلام والمعلومات في الوطن الوطن العربي في ظل ارهاب العولمة، مؤسسة الورقعمان ، ط1،2007، ص21.

[2]–بسام عبد الرحمان المشاقبة، نظريات الاتصال، دار أسامة للنشر والتوزيع،عمان، ط1، سنة 2010، ص159.

سمح بانتشار المعلومات بشكل أكبر وأسرع عما تسمح به الوسائل المكتوبة باليد كذلك مكّنّ الكتاب المطبوع الناس من التفكير وحدهم وشجع الاكتشاف الفردي».[1]

وبالتالي كانت الطباعة الرؤية البصرية والأداة المسيطرة على حياة الإنسان فمن خلالها يمكن الإطلاع والتعلم والتواصل والتثاقف، وبالتالي التغير الاجتماعي بشكل كبيروبفضل المطبوع حدث تغير جذري للصحافة، فبدأ الأفراد يعتمد.....الحصول على معلوماتهم أساسا على الكلمة المطبوعة بدلا على الكلمة المنطوقة، وأصبح المطبوع يعتبر تقدما منتظما للتجريد وللرموز البصرية، وفي النهاية أدّى المطبوع إلى خلق الاقتصاد الحديث والبيروقراطية والجيش الحديث والقومية نفسها.[2]

في هذا السياق بالذات نلاحظ تأمل" مارشال ماكلوهان "مثلا تأثير اكتشاف حروف الطباعة المتحركة آليا (على يد الألماني جوتنبرغ) في أوروبا القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر، فكان أن أدت إلى تنميط حركة وفكر وسلوك الإنسان الذي أصبح يأنس إلى صفحات كتاب يأوي إليه في غرفة أو زاوية ويتابع الحروف التي تتوالى منطقيا وترتيبيا أمام عينيه وفكره، لا يمكن أن يقرأ حرفا قبل حرف ولا يتعدى جملة إلى أخرى ولا سطرا إلى ما بعده ولا صفحة إلى أخرى تليها» كل شيء منمّط، مرتب منطقيا وميكانيكيا بقدر تنضيد حروف الطباعة التي اكتشفها جوتنبرغ، وهو ما أصاب البشر بصفة التنميط من جهة فيما أشاع مع ظهور الكتاب المطبوع روح الفردية في أوروبا خلال العصر الحديث من جهة أخريقول "ماكلوهان"؟ جاء تأثير اكتشاف إديسون الأميركي للكهرباء في الهزيع الأخير من القرن التاسع عشر. فبقدر ما أشاعت المطبعة روح الفردية والعزلة بين الناس (قارئي الكتب) جاءت الكهرباء لتشيع روحا معاكسة تماما: هي روح التجميع والالتئام وربما التكامل الذي يعكس تقنيا سريان الكهرباء بين قطبين لا فكاك بينهما سالب وموجب، فضلا عن ضرورة

[1]–محمد الخولي:«ماكلوهان ..حكيم الإعلام المعاصر»، على الموقع:www.albayan.com06فيفري 2001

[2]– المرجع السابق ، ص 181.

هذاالسريان للتيار ضمن دائرة كهربية بغير انفصام ولا انقطاع.بناءا على "ماكلوهان " الطباعة غيرت طبيعة الرموز التي تساعدنا غلى التفكير– شكل الكتاب المطبوع جعل طرقا جديدة لتنظيم التفكير طريقة عرض الأفكار (التسلسل، التقسيم إلى فقرات، الفهرس) أوجدت درجة من الإدراك والوعي المقابلة لمبنى الطباعة في ترتيب المواضيع، وتأكيد المنطق والوضوح. غيرت الطباعة نوعية الاهتمام وأثرت على تطور العلم ونشره، وانتشار شعبية الأفكار العلمية أوجدت الطباعة حاجة لتوحيد المقاييس، فتوحدت الرموز الرياضية استخدمت وسائل الايضاح البصرية (رسوم بيانية،جداول وخرائط).[1]فتكنولوجية الطباعة غيرت طبيعة ومميزات المجتمعات البشرية، فأظهرت مصطلحاجديداللفرد.ويقول"هارولد أنيس" **(HAROLOUD ENIS)**: «أنّ نمو وسائل الإعلام البسيطة منذ القرن الخامس عشر قتل تقليد الاتصال الشفهي، وحول السلطة من أيدي أولئك الذين يستطيعون أن يتذكروا الماضي ويحفظون الكتب السماوية، إلى أولئك الذين يعفون الأماكن البعيدة والأساليب المختلفة لعمل الأشياء.[2] »و"ماكلوهان" مثل "هارولد أنيس" يؤمن بأن التاريخ الحديث للمجتمعات الغربية ماهو إلا تاريخ الاتصال المتحيز واحتكار للمعرفة على أساس المطبوع، ويقصد "ماكلوهان" حين يصف الاتصال الذي وجد في 5 قرون السابقة بالتحيز أنّه اتصال سيطر عليه المطبوع وتحطم فيه.[3]

بذلك وضعت الطباعة حدا فاصلا بين الحقبتين، حقبة التواصل

[1]–نورالدين تواتي:« مارشال ماكلوهان قراءة في نظرياته بين الأمس واليوم»، ص188

[2]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]– المرجع نفسه، ص188.

الشفوي وحقبة التواصل المكتوب، ومع ولـوج الحضارة الإنسـانية عصر المكتوب عـايش الإنسـان أوّل لحظة اغتراب.[1]

كما حول عصر الطباعة القرون الوسطى إلى موضوعات فنية وجمالية، وكانت بالنسبة لهذا العصر مصدر إلهام ونموذجا للكمال، فالفن يعد من هذه الناحية وسطا مضادا ومقاوما للوسط الذي يترعرع فيه، لأنّه يتأسس كطوباويةمشدودة إلى الفردوس المفقود ومتطلعة في الوقت ذاته إلى المدينة الفاضلة وحلم المجتمع الأمثل.

ويرى "ماكلوهان" أنّ الفنان العبقري هو الذي يستطيـع، بفضل روحه التنبؤية وقدرته الاستشرافية وعقله النقدي، استعـاب جدلية الماضي والحاضر والمستقبل، ومن ثمة معايشة الواقع التاريخي مقاومة ونقدا وتجاوزا.

يطلق "مـاكلوهان" على الرحلة التي نعيـشها حاليا بـ(عصر الدوائر الإلكترونية) أو الانفجارالاتصالي، أو مرحلة الوسائل الجماهيرية.[2]

وتتمثل بشكل خاص هذه المرحلة في التلفزيون والكمبيوتر، فالإلكترونيات بتوسيـعها وتقليدها لعمل العقل البشري وضعت نـهاية لأسلوب التجريد الواقع، وإعادة القبلية للفرد مرة أخرى مما أحدث نتائج ثقافية واسعة النطاق.

---

[1]– عمر زرفاوي بن عبد الحميد:« العصر الرقمي وثورة الوسيط الإلكتروني قراءة في تحولات أطراف المنظومة الإبداعية»،مجلة قراءات، ع 1، جامعة بسكرة، 2009، ص111.

1–محمود علم الدين،تكنولوجيا المعلومات والاتصال ومستقبل صناعة الصحف، دار السحاب للنشر والتوزيع، القاهرة،ط1، 2005، ص220.

يقول "ماكلوهان"«أنّ النّاس لا يقرؤون الجريدة فعلا، بل يأخذونها كلّ صباح مثلما يأخذون حماما ساخنا .والقارئ كما يقول "ماكلوهان" لا يعرف عن الجريدة بذكاء أو بحاسة نقدية، فهذا ليس الهدف من جودتها، فالجريدة موجودة للإحساس بالاشتراك بالمساهمة في الشئ يستخدمها الفرد بشكل كلي يقفز فيها كأنّها حمام سباحة» ويقول أيضا"ماكلوهان"«أنّه حينما يزيد اشتراك الفرد في شئ يقل فهمه له، ولكنّه يعني(الفهم) وفقا لوجهة النظر السطرية القديمة أن يكون الإنسان مبتعدا أو منطقيا ».ولهذا قال "ماكلوهان" «فإنّ العالم قبل عصر الكهرباء كان عالما مجردا ومتخصصا ومجزأ جدا»[1].

هنا أننا ألغينا تسلسل المنوال، فمثلا في حالة الجريدة لا نبدأ بقصة واحدة نقرؤها ثم نبدأ قصة أخرى، فأعيننا تنتقل في الصفحات لنستوعب مجموعة غير مستمرة من العناوين الرئيسية والفرعية، وغيرها من الفقرات التي تقدم المواضيع والصور والإعلانات.

ويقول : "ماكلوهان"«أنّ وسائل الإعلام التي يستخدمها المجتمع، أو يضطر إلى استخدامها ستحدد طبيعة المجتمع وكيف يعالج مشاكله وأي وسيلة جديدة هي امتداد للإنسان تشكل ظروفا جديدة محيطة تسيطر على ما يفعله الأفراد الذين يعيشون في ظل هذه الظروف، وتؤثر على الطريقة التي يفكرون ويعملون وفقا لها».

[1]–تواتي نور الدين:« مارشال ماكلوهان قراءة في نظرياته بين الأمس واليوم»، ص 182.

أي أنّ الوسيلة امتداد لجهازنا العصبي المركزي، والكاميرا التلفزيون تمد أعيننا والميكروفون يمد آذاننا والآلات الحاسبة توفر بعض أوجه النشاط التي كانت في الماضي تحدث في عقل الإنسان فقط فهي مساويةلامتداد الوعي[1].

[1]–كامل خورشيد مراد،الاتصال الجماهيري والإعلام،دار المسيرة للنشر والطباعة والتوزيع، ط1، 2011، ص 160.

المبحث الثالث: الوسيلة هي الرسالة:

وليكن "ماكلوهان" أوّل من قال أن الأشياء التي نكتب عليها كلماتنا لها أهمية أكبر من الكلمات نفسها، ولكن الطريقة التي قدم لنا بمقتضاها هذه الفكرة هي تقتبس باستمرار فهو يقول" **الوسيلة هي الرسالة**".

ونحن نعرف أنّ الرسالة رسالة، وأنّ الوسيط وسيط، وأنّه يستحيل تحقيق تطابق في الهوية بين الرسالة والوسيط، بناء على نظريات التواصل المعروفة عند رومان ياكبسون والتي تبنى على ستة عناصر:

1-الوظيفة التعبيرية.

2-الوظيفة الإفهامية.

3- الوظيفة الشعرية.

4-الوظيفة المرجعية.

5- الوظيفة ما فوق اللسانية.

6-الوظيفةالإنتباهية.[1]

يؤكّد المفكر"مارشالماكلوهان" أنّ الرسالة في العصر الحديث، على أهميتها غدت أسيرة الوسيط الذي يثمنها ويضخمها (رغم تفاهتها أو عدميتها) أو يقزمهاأو يقتلها (رغم جلال شأنها). إنّ الرسالة باعتبارها مدلولا، تذوب كلية في الوسيط الذي أصبح رسالة ودالا ومدلولا في الوقت نفسه. ومع هذا التحول الخطير، تتحقق مقولة أحد المفكّرين عندما يلاحظ التحكم الكلي للوسيط في الخبر الإعلامي: الأصفار تصبح أبطالا والأبطال تصبح أصفارا.

ماذا يعني الوسيط في العصر الحديث؟

[1]-الطيب بودربالة:«سيميائية وسائل الإعلام، مارشال ماكلوهان نموذجا»، ص2.

إنّه كل شئ إنّه يمثل تلك الإمكانات والقدرات التكنولوجية الجهنمية المسخرة للتأثير على الإنسان والاستحواذ على ذوقه وجوارحه وأحاسيسه ووعيه وأفكاره وسلوكاته، بهدف تشكيله تشكيلا جديدا، يفقد معه هويته وارادته وحريته وإنسانيته إنّه الإنسان الآلي، المبرمج من طرف وسائل الإعلام. أمّا الإمكانات المسخرة، فهي لاتعد ولا تحصى، مثل تقنيات الصورة، هندسة الصوت الألوان، الديكور الحيل السينمائية، الصور الوهمية التركيب، المزج، الأضواء، الأزياء الرسومات الفضاء، الإثارة، الترغيب، التشويق، الرمز، الأسطورة استغلال جسد المرأة الشبقي، التركيز على الإثارة والمنعك الشرطي (بافلوف).....الخ.[1]

ويرفض "ماكلوهان" نقاد وسائل الإعلام الذين يدعون أو وسائل الإعلام الجديدة ليست في حد ذاتها جيدة، أو رديئة، لكن الطريقة التي تستخدم بها هذه الوسيلة أو الوسائل هي التي ستحد من فائدتها، يقترح "ماكلوهان" بدلا من ذلك أنّه علينا أن نفكّر في طبيعة وشكل وسائل الإعلام الجديدة، فمضمون التلفزيون الضعيف ليس له علاقة بالتغيرات الحقيقية التي يسببها التلفزيون كذلك قد يتضمن الكتاب مادة تافهة أو كلاسيكية، ولكن ليس لها دخل بعملية قراءته، فالرسالة الأساسية في التلفزيون هي التلفزيون نفسه.كما أنّ الرسالة الأساسية في الكتاب هي المطبوع،فالرأي الذي يقول أنّ وسائل الإعلام أدوات يستطيع الإنسان أن يستخدمها في الخبر أو الشر، رأي تافه عند "ماكلوهان".[2]

[1]– عمر زرفاوي بن عبد الحميد:« العصر الرقمي وثورة الوسيط الإلكتروني»، ص2.

[2]– تواتي نور الدين:« مارشال ماكلوهان قراءة في نظرياته بين الأمس واليوم»، ص182.

فالأسس التي بنى عليها "ماكلوهان" نظريته في كتابه الشهير" الوسيلةهيالرسالة"التي قال فيه(إننا نعيش الآن في قرية عالمية وأنّ الوسائل الإلكترونية الحديثة ربطت كلا منا بالآخر وبالتالي فإنّ المجتمع البشري لن يعيش في عزلة بعد الآن وهذا يجبرنا على التفاعل والمشاركة فقد تغلبت الوسائل الإلكترونية على القيود والوقت والمسافة، وأدت إلى استمرار اهتمامنا كمواطنين بالدول الأخرى فالرصد الذي اتبعه في تطور المجتمعات وتحولها من الثقافة الشفهية إلى اللغة المكتوبة ومن الثقافة المكتوبة إلى الثقافة الإلكترونية جعله يتصور أنّه أدرك نهاية هذا التطور باكتمال بناء القرية العالمية التي تتوحد فيها حاجات الناس ومتطلباتهم إلى جانب وعيهم ومواقفهم وراؤهم، وربما مشاعرهم حيال الآخرين والأشياء وبعبارة أخرى قدرة وسائل الإعلام على إعادة انتاج الوعاء الفكري الموحد في جميع أنحاءالعالم.[1]أصبح شباب اليوم يدرك بالفكرة الظروف الحالية المحيطة (أي الدراما الكهربائية) فهو يعيشها بعمق، وربما كان هذا هو السبب في الفجوة الكبيرة الموجودة بين الأجيال فالحروب والثورات والتمرد المدني هي من ظواهر الظروف الجديدة المحيطة التي خلقتها وسائل الإعلام الكهربائية، فقد أصبح زمننا هو زمن عبور الحواجز لإزالة الفئات القديمة.

[1]– حنان كامل اسماعيل، دور المواطن الصحفي في الحراك السوري من وجهة نظر قادة الرأي الإعلامي العربي، رسالة الماجستير، جامعة الشرق الأوسط، 2001–2012، ص39.

لذلك نشهد حاليا أوقات صعبة نتيجة للتصادم بين تكنولوجيتن عظيمتين، فنحن نقترب من الجديد بالاستعداد السيكولوجي القديم، وهذا الصدام يحدث في المرحلة الانتقالية، فالفن في العصور الوسطى عبر عن الخوف من تكنولوجيا المطبوع بفكرة رقصة الموت واليوم يتم التعبير عن مخاوف مماثلة في مسرح العبث.

المهم أنّ أي رسالة أو أي وسيلة أو أي تكنولوجيا، هي تغيير للمدى أو المساحة أو الشكل الذي تدخله في الشؤون البشرية السابقة خالقة أنواع جديدة من المدن، وأنواع جديدة من العمل ووقت الفراغ.

لقد أصبح لزاما علينا أن نسهل انتقالنا من العالم البصري المجزأ، أي عالم المطبوع حتى نصل إلى أسلوب للتعليم نستخدم فيه كل وسيلة حديثة متوفرة يعيش شباب اليوم في عالم خيالي أو سحري بينما يواجه عندما يتعلم ظروفا منظمة على أساس المعلومات المصنفة أي الموضوعات غير المتصلة التي يتم إدراكها بصريا على أساس خطي لا توجد أمام الطالب وسيلة للاشتراك، ولا يستطيع أن يكتشف كيف تتصل المشاريع التعليمية بعالمه الخيالي الذي يتحرك فيه والوسيلة هي الرسالة تعني بالإضافة إلى ذلك أشياء أخرى

فقول"ماكلوهان" يشير أيضا إلى أن لكل وسيلة جمهورا من الناس يفوق حبهم لهذه الوسيلة اهتمامهم بمضمونها، بمعنى آخر، التلفزيون كوسيلة هو محور الاهتمام الكبير، فكما يحب الناس أن يقرؤوا من أجل الاستمتاع بممارسة تجربة المطبوع، وكما يجب الكثيرون متعة في التحدث إلى أي شخص في الهاتف كذلك يحب البعض التلفزيون بسبب الشاشة التي تتحرك عليها الصورة والصوت علاوة على ذلك، الرسالة في الوسيلة هي تأثير الأشكال التي تظهر بها على المجتمع الرسالة المطبوعة كانت كل جوانب الثقافة الغربية التي أُثر عليها المطبوع والرسالة في وسيلة السينما هي مرحة الانتقال من الروابط السطرية إلى الأشكال كذلك يقترح"ماكلوهان" أنّ بناء الوسيلة ذاتها مسؤول عن نواحي القصور فيها ومسؤول عن مقدرتها على ايصال المضمون، فهناك وسيلة أفضل من وسيلة أخرى في إثارة تجربة

معينة، فكرة القدم مثلا هي في التلفزيون أفضل من سماعها في الراديو أو في عمود الجريدة، ويبدو أنّ لكل وسيلة ميكانيزم خاص بها يجعل بعض الموضوعات أفضل من موضوعات أخرى.

لذلك أدرك "ماكلوهان" أنّ المهم في العملية التواصلية ليس محتوى الرسالة بقدر ما يهم الشكل الذي يتخذه الاتصال فطبيعة الأداة أو وسيلة الاتصال لها دخل كبير في تحديد نوع الرسالة التي يراد توصيلها، والأثر الذي تتركه هذه الرسالة لدى(المستقبلين)وليس المهم هنا هو محتوى الرسالة أو مضمونها، وإنّما المهمّ هو طبيعة الأداة التي تتولى عملية النقل والتوصيل نظرا لأنّ هذه الأداة تتحكم في تحديد وتوجيه العلاقات الإنسانية.[1]

إنّ وسائل الاتصال باعتبارها وسائط انطبق عليها وصف "مارشال ماكلوهان" بأنّها امتدادات للإنسان (بتفعيلها لأداءات حواسه وجوارحه الاتصالية) ولكن باعتبارها وسطا فإنّها تتفق مع عبارته الشهيرة (الوسيلة هي الرسالة).[2]

تعتبر الحتمية التكنولوجية عند "مارشال ماكلوهان"من أهم النظريات التي بحثت في دور وسائل الإعلام وتأثيرها على المجتمعات، فهي تقترح النظر إلى التكنولوجيا كعامل خارجي للعلاقات الاجتماعية، وكعامل يحدد توجه وتطور المجتمع في المستقبل،فالحتمية كفكرة تتخطى السيطرة البشرية، و ترى بالتطورات التكنولوجية المحور المركزي لتقدم وتغير المجتمع. وانطلقت هذه النظرية على فكرتين:

[1]–عمر زرفاوي بن عبد الحميد: « العصر الرقمي وثورة الوسيط الإلكتروني»، ص112

[2]– ربيحةنبار:«محاضرات في مقياس وسائل الإتصال»، على الرابط:http//www.elearning-univ-eloued.dz

1-أنّ وسائل الاتصال والإعلام هي وسائل للنشر والمعلـومـات والترقية والتعليم.

2-أنّها جزء من سلسلة التطور التكنولوجي.[1]

وفي هذا الصدد يقول "ماكلوهان" «أنّ مضمون وسائل الاتصال لا يمكن النظر إليه مستقلا عن تكنولوجيا وسائل الاتصـالية، والإعلامية نفسها.فالكيفية التي تعرض بها المؤسسات الاتصـالية الموضوعات والجمهورالذي توجه له رسالتها يؤثران على ما تقوله تلك الوسائل، ولكن طبيعة وسائل الاتصال التي يصل من خلالها الإنسان تساهم في تشكيل المجتمعات أكثر مما يشكلها مضمون الاتصال»، فحينما ينظر "ماكلوهان"إلى التاريخ يأخذ موقفا نستطيع أن نسميه بالحتمية التكنولوجية، وهذا يعيدنا إلى ماقاله"كارل ماركس" بالحتمية الاقتصادية أو الحتمية التـاريخية، وبأنّ التنظيم الاقتصادي للمجتمع يشكّل جانبا أساسيا من جوانب حياته، بينما "ماكلوهان " يؤمن بأنّ الاختراعات التكنولوجية العامة هي التي تؤثر أساسا على المجتمعات فحسب ،بل أنّ التحول الأساسي في الاتصـال التكنولوجي يجعل التحولات الكبرى تبدأ ليس فقط في التنظيم الاجتمــاعي،ولكن أيضا في الحساسية الانسانية، كما واعتبر أنّ محددات النظـام الاجتماعي تكمن في طبيعة وسائل الاتصال التي من خلالها تتم عملية الاتصـال، ودون الأسلوب الذي تعمل بمقتضاه لا نستطيع أن نفهم المتغيرات الاقتصـاديةوالاجتمـاعية والثقافية التي تطرأ على المجتمعات.[2]

[1]-أريج عبد الفتاح البستنج، ظاهرة ويكليكس: دراسة في الوثائق الأمريكية من وجهة نظر النخب العربية، رسالة ماجستير في الإعلام، جامعة الشرق الأوسط ، 2013-2014، ص11.

[2]-بسام عبد الرحمان المشاقبة، نظريات الاتصال، ص155.

ويضرب" ماكلوهان" مثالا على ذلك قيقول: «إنّ اختراع اللغة المنطوقة هو الذي فرق بين الإنسان والحيوان ومكّن البشر من إقامة المجتمعات والنظم الاجتماعية وجعل التطور الاجتماعي ممكنا. »[1]

وفي نظرية "ماكلوهان" حول كون وسائل الاتصال امتدادا لحواس الإنسان فالكتابة امتداد لحاسة البصر، والراديو امتداد لحاسة السمع والتلفزيون والسينما امتدادنا معا، وفي حين يؤكد "ماكلوهان" أنّه لا بدّ من الاعتماد على كل حواسنا لنفهم ما يدورحولنا.[2]ولقد قسم الوسائل الاتصالية إلى الوسائل الساخنة والوسائل االباردة. لقد ابتكر "ماكلوهان" في تعريفه لذلك الميكانيزم اصطلاحات فئات "الساخن" و "البارد" ليصف في نفس الوقت بناء وسيلة الاتصال أو التجربة التي يتم نقلها ومدى تفاعلها، وما نطلق عليه كلمة (بارد) يستخدم عادة في وقتنا الحاضر، لتعني الجدال الذي ينغمس به الناس بشدة، ومن ناحية أخرى الاتجاه البارد كان يعني الحياد الذي يميل إلى الابتعاد وعدم الاهتمام، كلمة (ساخن) أصبحت غير مستخدمة حينما طرأت تغيرات عميقة على طريقة النظر للأمور، ولكن التعبير الدارج "بارد" ينقل قدرا إلى جانب الفكرة القديمة"ساخن" فهو يشير إلى نوع من الالتزام والمساهمة في ظروف تتضمن قدرات الفرد كلها.

"ماكلوهان" لا يهاجم فقط السطرية، ولكن أيضا الطبيعة التجريبية للغة المطبوعة التي تعتبر من عناصر قوتها، وبدلا من المقدرة على التجريد يهتم بالمقدرة على التخيل التي تعتبر محور فكرته أو مفهومه، الذي يقتبس دائما حينما يفرق بين الوسائل (الباردة) والساخنة).

[1]– حمد بن ناصر الموسى:«الإعلامالجديد التحديات النظرية التطبيقية»، ورقة مقدمة للمنتدى السنوي السادس للجمعية السعودية للإعلام والاتصال، جامعة الملك سعود، الرياض، 15أفريل 2012، ص9.

[2]–المرجع نفسه، ص 10.

فالوسيلة (الساخنة) هي الوسيلة التي لا تحـافظ على التوازن في استخدام الحواس، أو الوسيلة التي تقدم المعنى مصنوعـا جاهزا إلى حد ما، مما يقلل احتيـاج الفرد للخيال لكي يكون صورة للواقع من العلاقات التي تقدم إليهأمّا الوسيلة (الباردة) فهي الوسيـلة التي تحتاج إلى أن تحـافظ على التوازن بين الحواس وتحتاج لقدر كبير من الخيال.[1]

فيعتبر" مـاكلوهان" المطبوع والراديو من الوسائل الساخنة، التي تستخدم كل الفلم المنطوق والتلفزيـون من الوسائل الباردة التي تحتاج إلى أقصى درجة من الجهد الخيالي من طرف المتفرجين.الوسيلة الساخنة أوالتجربة الساخنة، درجة وضوحها مرتفعة أوهي أقرب للأشياء الطبيعية،فهي على درجة عالية من الفردية، كما أنّ بها قدرا كبيرا من المعلومات المطلوبة ولا تحتاج إلى مساهمة كبيرة من جانب المتلقي.

أما الوسيلة الباردة فدرجة وضوحها منخفضة والمعلومات التي تنقلها أيضا منخفضة وتتطلب من الجمهور المساهمة لتكملة التجربة، صورة التلفزيون درجة وضوحها منخفضة لذلك يضطر الفرد إلى المساهمة أو الاشتراك سيكولوجيا بدرجة كبيرة أي يضطر المتفرج إلى أن يملأ المساحات التي يشاهدها العقل.

يسمي "مـاكلوهان" التلفزيون وسيلة باردة والصحافة وسيلة ساخنة بسبب المدى الذي تشترك به حواسنا في كل منها وتأثير كل وسيلة على بناء المجتمع يتوقف إلى حد كبير على درجة حرارتها، فإنّ الوسيلة الساخنة تسمح بمساهمة أقل من الوسيلة الباردة.[2]

المطبوع وسيلة ساخنة يفرض نمطه على الصفحة، يتكرر بلا نهاية وهو يقوم على التجريد ويحمل الإنسان بعيدا عن العلاقات الوثيقة المعقدة إلى أسلوب الحياة الحديثة من القبلية إلى الأممية ومن الإقطاع إلى الرأسمالية ومن الحرفية إلى نطـاق الإنتاج الواسع ومن الحكمة إلى العلم...الخ.

---

[1]–بسام عبد الرحمان المشاقبة، نظريات الاتصال، ص155

[2]– المرجعالسابق، ص156.

الحديث الشفهي على العكس من ذلك وسيلة باردة، فهو يطور حوارا واستجابة ورجع صدى، وأنماط معقدة ومتداخلة للعلاقات الشخصية ومجتمعات مركزة في العائلة وأخلاقيات عائلية وقبلية، واعتقادا أو إيمان بأشياء خارقة.

والفكرة الرئيسة أنّ الوسيلة الساخنة تبعد، والوسيلة الباردة تقرب أو تستوعب الوسائل الساخنة درجة المساهمة فيها أو تكمل الجمهور، لما تقدمه ضئيلة أما الوسائل الباردة فدرجة مساهمة الجمهور في إكمال ما تقدمه عالية. [1]

ويقول "ماكلوهان" أنّ التلفزيون وسيلة باردة ، ترفض الشخصيات والموضوعات الساخنة أكثر من الصحافة التي تعتبر وسيلة ساخنة، فلو كان التلفزيون موجودا على نطاق واسع خلال حكم "هتلر" لساعد ذلك على اختفاء "هتلر" بسرعة.

ويفسر أيضا نجاح "كندي" في الانتخابات على "نيكسون" سنة1960 م لأنّ "كندي" استعمل التلفزيون في حملته الانتخابية عكس "نيكسون".[2]

[1]– نورالدين تواتي:« مارشال ماكلوهان قراءة في نظرياته بين الأمس واليوم».ص 184.

[2]-المرجع السابق، ص189.

المبحث الرابع: رؤية مارشال ماكلوهان لوسائل الإعلام في ميزان النقد

من أكثر الباحثين انتقادا لهذه النظرية الباحث"ريتشارد بلاك" الذي اعتبر أنّ مصطلح القرية العالمية التي زعم "ماكلوهان" وجودها لم يعد لها وجود حقيقي في المجتمع المعاصر وفي هذا الصدد يقول"بلاك" أنّ التطور الذي استند إليه "ماكلوهان" عند وصفه للقرية العالمية وتحويلها إلى شظايا، فالعالم الآن أقرب ما يكون إلى البناية التي تضم عشرات الشقق السكنية، التي يقيم فيها أناس كثيرون ولكن كل فرد منهم يعيش في عزلة ولا يدري شيئا عن جيرانه الذين يقيمون معه في البناية، ويمكن أن يوصف هذا التطور بأنّه تحول من التجميع إلى التفكيك أو التفتيت أو اللامركزية حيث أتاحت تقنيات الاتصال الحديثة المتمثلة بالأقمار الصناعية والحاسبات الإلكترونية ووصلات الميكروويف والألياف الضوئية عددا كبيرا من خدمات الاتصال خلال العقدين الماضيين مثل التلفزيون الكابلي والتفاعلي والتلفزيون منخفض القوة والفيديو كاسيت، والفيديوسيك وأجهزة التسجيل والموسيقى المتطورة وخدمات الفيديوتكس، أو الاتصال المباشر بقواعد البيانات والهواتف النقالة والبريد الإلكتروني التي اندمجت في شبكة الاتصالات المعروفة بالأنترنت، وجميع وسائل التخاطب الأفراد وتلبي حاجاتهم ورغباتهم الذاتية، وقد نتج عن هذه التقنية الجديدة تقلص أعداد الجماهير التي تشاهد برامج الشبكات الرئيسية وخدمات الإذاعة المسموعة والتلفزيون التي تعمل بنظام الهوائي التقليدي.

لقد ظلّ الاتجاه الرئيسي لوسائل الاتصال الجماهيري حتى ما قبل عقدين يميل إلى توحيد الجماهير(Massification) بمعنى نقل الرسائل الاتصالية نفسها إلى قطاعات جماهيرية واسعة وتوحيد الرسائل وتعدد الجماهير المستقبلة لهذه الرسائل.

تلك كانت بعض آراء "هارولد انيس" التي وافق عليها "ماكلوهان" ولكن تناول "ماكلوهان " لتلك الأفكار هو تناول سيكولوجي أي أنّه يعيد للأذهان افتراضات الباحثين "ساير ورف" بالرغم من أنّ "ماكلوهان" مهتم بالطريقة التي تؤثر بمقتضاها وسائل الإعلام لا

تنقل فقط معلومات بل إنّها تقول لنا ماهو نوع العالم الموجود؟ وهذا لا يجعل حواسنا تثار وتتمتع فقط ولكنّها تعدل نسبة استخدامنا للحواس وتغير في الواقع شخصيتنا.[1]

ولم يكن "ماكلوهان" أوّل من قال أنّ الأشياء التي نكتب عليها كلماتنا لها أهمية أكبر من الكلمات نفسها، ولكن الطريقة التي قدم لنا بمقتضاها هذه الفكرة هي التي تقتبس باستمرار فهو يقول الوسيلة هي الرسالة لأنّ طبيعة كل وسيلة وليس مضمونها هو الأساس في تشكيل المجتمعات. إ

نّ التطورات المسارعة لتكنولوجيا الاتصال جعلها وسائل تخاطب الأفراد وتلبي حاجاتهم ورغباتهم الذاتية، ممّا أدّى إلى غياب تطور الثقافة العالمية والاندماج الثقافي بين الشعوب الذي زعمه "ماكلوهان" في القرية الكونية التي تحدث عنها، ليحلّ محلّها المقاطعات المنعزلة التي تستخدم فيها كل فرد وسيلته الخاصة، وبالتالي تزداد الفروقات والتمايزات بين أفرادها عوض الاندماج في أمة واحدة، أو كما يعرف حاليا بظاهرة العولمة.

واضافة إلى ذلك لقي الطرح الذي يخص مقولة "الوسيلة هي الرسالة" نقدا لاذعا من طرف "ريتشارد بلاك" الذي لاحظ أنّ مجتمع التسعينات ليس له نفس ميزات مجتمع الستينات الذي وصفه "ماكلوهان "ليؤكد أنّ تكنولوجيا التسعينات تعمل على تفتيت الجماهير وتجزئتها.

يعتبر "ماكلوهان" أنّ تأثير الوسيلة نفسها نافع ومفيد إلاّ أنّ تأثيرات الرسالة نفسها متنوعة أكثر من الوسيلة نفسها، بحيث لا يمكن فصل واحدة عن الأخرى، فالأخبار في الرأي هي الأخبار بصرف النظر عن الوسيلة التي تنقل بها، كما أنّ هناك حاجة إلى التفكير موضوع الخيال الذي يحتاج إلى نوع ما من الاتصال، وهو الأمر الذي لفت "ماكلوهان أنظارنا إليه فهناك من يقول أنّ قدر الخيال الذي تحتاج إليه ترجمة المطبوع إلى صور واقعية أكبر من

[1]– بسام عبد الرحمان المشاقبة، نظريات الاتصال،ص162.

الذيتتطلبه مشاهدة التلفزيون، كما أنّ هناك من يقول أنّ غياب الصوت في الأفلام الصامتة يحتاج إلى خيال أكبر من الخيال الذي تحتاج إليه الأفلام الناطقة.

إضافةإلى أنّ النقد يتهم النظرية بالبساطة المفرطة، فالثورات (تكنولوجية أو اجتماعية) لا تبدأ أو تنتهي في نقطة زمنية محددة أو مكان واحد، فهي عملية ذات جذور عميقة وأبعاد كثيرة.

ويذهب عبد الله الغذامي إنّ يمكن القول بأنّ الوسيلة هي الرسالة والمرسل أيضا ومن هنا سيجري اختزال النموذج الاتصالي بدمج ثلاثة عناصر في عنصر واحد، وإذا كنا نستطيع من قبل التفريق بين المرسل والرسالة ووسيلة الاتصال، فأنّنا اليوم نجد تداخلا كبيرا في بين هذه العناصر، وهذا فعلا يؤكد لنا كما جاء في كتابه بأنه سر حيرتنا في عدم التعرف على قادة رمزيين نسميهم بقادة الفكر، وكثيرا ما يشتكي الناس اليوم من غياب الرموز، وكثيرا ما يشتكون أيضا من تغيرات ضخمة لا أحد يملك السيطرة عليها[1].

[1]–عبد الله الغذامي، الثقافة التلفزيونية، سقوط النخبة وبروز الشعبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2 2005، ص25–26.

الفصل الثانـــي:

نقد وســـائل الإعلام

المبحث الأول: بيير بورديو المثقف السياسي.

المبحث الثاني: بيير بورديو وسلطة الأيديولوجيا.

المبحث الثالث: بيير بورديوونقد وسائل الإعلام(التلفزيون).

المبحث الرابع: رؤية بيير بورديو لوسائل الإعلام في ميزان النقد.

المبحث الأول: بيير بورديو المثقف السياسي

بموت" بيير بورديو"*(Pierre Bourdieu) فقد العالم أكثر علماء الاجتماع شهرة، كما فقد التيار الأوروبي أكثر الأصوات المؤثرة على حركته والمعبرة عنه خلال العقود الأخيرة...[1]

هكذا نعت مجلة اليسار الجديد في عددها رقم14مارس-أبريل عالم الاجتماع والمفكر الفرنسي بيير بورديو.

خسر العالم مفكرا فذا وعالميا، وانسانيّ التوجّه، فبيير بورديو لم لكن مجردعالم اجتماع متمكن في العديد من المهارات المنهجية في تخصصه، وباحث متعمق في الإنسانيات وإنّما هو من فئة المثقفين الملتزمين، حركوا المشهد الثقافي الغربي وتركوا بصماتهم على مجال المعرفة الاجتماعية بعد الحرب العالمية الثانية، فهو واحد من المثقفين العضويين الذين لا ينفصلون بين الالتزام الفكري والالتزام السياسي، ولا يرضون بالمشاهدة من الشرفات والتفرج من بعيد، بل يستهويهم الانخراط في الشأن العام والدفاع عن قضايا مجتمعاتهم ويسعون بكل ما أوتوا من جهود إلى التغييرالاجتماعي وتفكيك السلطةوتحطيمالنظام ويحلمون بحياة بلا ظالمين.

انخرط "بيير بورديو" في معمعة الفكر العالمي الجياش وتشارك عمليا في حراك مجتمعه، وكوّن لنفسه رؤية خاصة في هذا الشأن سواءا تعلق ذلك في الشأن الفرنسي أو

---

[1]-بيير بورديو، التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، ترأحمد درويش الحلوجي، دار كنعان للنشر،ط1، سنة 2004ص7.* ولد بيير بورديو سنة 1930 في دينغينDENGIN فيالبرنبية الأطلسية PYRENEES ATLANTIQUESدرس في ثانوية PEU وفي ثانوية لوغران LOUIS GRAND وفي كلية الآداب بجامعة باريس وبالمدرسة العليا للأساتذة، وبعد تحصله على شهادة "التبريز" AGREATIONعين أستاذا بثانوية مولان MOULINS في 1955م.

الشأن الانساني عموما– وراح يكتب بحماس ملتهب وبغزارة جارفة، وقد أكسبته رؤيته العميقة وذلك النضال الفاعل مكانة عالمية وجعلته نموذجا رائعا للإقدام في الفكر والفعل وتذكرنا شخصيته الفذة بالمفكر الإيطالي" أنطونيو غرامشي" والفيلسوف "جونبولسارتر" و"ميشال فوكو" والمفكر" جورج أوريل" وأيضا الفيلسوف "براتراند رسل"، فقد كانو جميعا من المفكرين الذين يعملون ما يقولون، فيجمعون بين القول والفعل والمبدأ والسلوك وبين الإنتاج الفكري المتميز والممارسة النضالية العملية التي تدافع عن القضايا والمبادئ التي نادوا بها"[1]

هذا ما أكده "هابرماس" في تأبينيته(لبورديو) بقوله :«ما يفتنني عند" بيير بورديو" هي أريحية ذكائه وسخائه واستعداده الدائم لخوض المعارك الاجتماعية بحيث لا يرضى بأن يكون شاهدا على الحدث بل فاعلا فيه».[2]

درس"بييربورديو"في كلية الآداب في الجزائر، واهتم بالدراسات الأنثروبولوجيةوالاجتماعية وهذا مايفسر اشتغال الجزائر بمكانة هامة في لأعمال هذا الباحث وبعد عودنه إلى فرنسا بدأيدرس الفلسفة في السربون، ثم أصبح مديرا لقسم الدراسات في مدرسة الدراسات العليا، ثم مديرا لمعهد علم الاجتماع الأوروبي، كما أنتجت عام 1982 لكرسي علم الاجتماع في "الكوليج دو فرانس" وهي أعلى هيئة علمية في فرنسا كانت محاضراته الأولى بعنوان"درس في الدرس" وقد جال فيها بجدارة في ميادين النقد الاجتماعي والسياسي والتربوي، وبقي يحاضر فيها إلى سنة 2001. يعمل "بورديو" منذ الخمسينات وقد كتب خلال هذه السنوات 35كتابا وما يربو عن 260 مقالا في علم الاجتماع والأدب والفن والسياسة.

ومن أهم مؤلفاته كتابه (الورثة) مع"جون كلود باسرون" وتحفته (إعادة الإنتاج)، كما جاءت مواضيعه ساخنة في مؤلفه الشهير(التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول)، وفي كتابه (بؤس العالم) ينتقل "بورديو" من المعرفة التقليدية إلى مرحلة التشخيص منتقدا الليبرالية

---

[1]–صبحي درويش : «عالم الاجتماع والمفكر بيير بورديو»، على الرابط: http//www.tourathtripoli.com،الجمعة 18أفريل2008

[2]–زهير الخويلدي : « نظرية الهابيتوس والرأسمال الرمزي عند بيير بورديو»،على الموقع :www.arabtimes.com، 23جانفي2011

الجديدة التي أنتجت أكثر أنواع الفقر بامتياز كما له مؤلفات عديدة في شتى المجالات نذكر منها : الرمز والسلطة، محاولات باتجاه سوسيولوجيا انعكاسية، تأملات فلسفية الأنطولوجية السياسية عند مارتن هايدغر، قواعد الفن، تكون الحقل الفني وبنيته (1992) دلالة الكلام واقتصاد المبادلات اللغوية(1982)، اللغة والسلطة الرمزية(2001) الاجتثاث(1964) الحس العملي(1980) والعنف الرمزي(1994).....الخ.

إنّ الكم والنتاج الفكري الغزير للراحل "بورديو" لحجة واضحة وقاطعة على مساره المتميز المنفرد، وعلى ثقافة تمتد لأجيال في شتى المجالات، فالباحث والمتتبع للمفكر يستشف نضالا في كل اصداراته، وثورة في تنظيراته على كل ما يهدف إلى اغتصاب الحقيقة، هذا الثائر المتشبه بشيغيفارا الذي يستعمل كلماته كمدافع ورصاصات لينهض بالإنسان، حقيقة بؤس العالم، هذا الإنسان المنوم مغناطيسيا، المستهلك، انسان المشهد والفرجة.

لم يعتبر "بورديو" مطلقا أنّ علم الاجتماع هو مجرد مجال للتخصص الأكاديمي وإنّما كان مثله مثل "دوركايم" يرى أنّ العلوم الاجتماعية لا تستحق مجرد ساعة من الاهتمام إذا لم تعد بشكل واسع إلى المجتمع لكي تكشف آليات الهيمنة السائدة فيه فطبيعة علم الاجتماع سياسية أكثر منها علمية، لأنّه يمكّننا من رؤية الوجه الخفي والمبطّن للعالم الاجتماعي.

يقول "بورديو": «من المفهوم أنّ علم الاجتماع كان مرتبطا جزئيا بالقوى التاريخية التي كانت تحدد طبيعة علاقات القوى التّي يجب الكشف عنها في كل حقبة من حقب التاريخ».[1]

حاول "بورديو" أن يجعل العالم الاجتماعي منخرطا في كل النقاشات السياسية الكبرى والقضايا الحساسة لكي يفهم أكثر ويكون في خضم الحدث السياسي الاجتماعي وقريب منه بل فاعلا فيه أيضا حيث عمل على تطوير الأفكار التّي يعدّها بمثابة الأدوات والأسلحة لمواجهة النيوليبرالية، كما انتقد بشدة الخطاب السائد في سياسات الليبرالية الجديدة بوصفه خطاب تكمن قوته في هيمنة على كل القوى في عالم تحكمه علاقات قوى تفرض عليه أن

[1]– بيير بورديو، التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، ص14.

يكون بالشكل الذي هو عليه الآن، هذا ناهيك على أنّ النظرية الليبرالية مفرغة من البعد الاجتماعي والتاريخي، تنظرللتعليم وغيره على أنّه سلعة (منظور اقتصادي) بحت مبنيّ على التنافس وهذا ما يناقض قاعدة العدالة الاجتماعية.

ولهذا دعا "بورديو" المثقف بالالتزام التام بعمله وذلك بوضع كل كفاءاته العلمية لمناهضة هذه الحركات الليبرالية الجديدة والتطرق بسلاح الفكرة والعلم اللّذين يسمحا له بفهم مشاكل العالم الذي نعيش فيه بكل ما يتميز من تعقيدات.

يعد "بيير بورديو" نموذجا للمفكر المثقف المنخرط في الشأن السياسي، يدافع عن القضايا الاجتماعية والقيم العامة، وربما يكون هو آخر المفكرين الكبار الذين تركوا بصماتهم الفكرية، وأثروا بشكل عملي على الحركات السياسية، التي شهدها النصف الثاني من القرن العشرين، وهو أحد أهم المنظرين الذين تعد أعمالهم أدوات للنضال الفكري والنظري فيما يعرف الآن "بحركة العولمة البديلة" التي كانت تعرف من قبل باسم (حركة مناهضة العولمة).

وتعود علاقته بالسياسة إلى فترة الحرب في الجزائر، فهو يرى بأنّ العلوم الاجتماعية لا تستحق الاهتمام،ان لم تكن في خدمة الإنسان والمجتمع، وعليها أن تكتشف آليات الهيمنة السائدة في المجتمع، كما يرى أنّه ليس جديا أن نفكر بسياسة دون أن نتحلى بتفكير سياسي.[1]

1- المرجع السابق، ص 9

*بورديو كتب مقالا في اللوموند ديبلوماتيك عدد مارس 1998 يحلل فيه الدور الذي تلعبه أو تقوم به الهيئات المالية الدولية مثل صندوق النقدFMI والبنك الدولي، ومنظمة التعاون والتنمية في فرض برامج اقتصادية تتمثل قي خفض تكاليف اليد العاملة.

هكذا يوجز "بورديو" طبيعة الرؤية التي يتحلى بها من يريد أن يفهم ما الذي يحدث في هذا العالم.

يقول "علي حرب" في كتابه (أصنام النظرية وأطياف الحرية): «غير أنّ بيير بورديو لا يكتف من النضال بعمله الأكاديمي وانخراطه في مناقشة القضايا العامة، بل ينضوي في الموقف العملي الملموس إذ هو ينزل إلى ميدان الممارسة وحقل الصراع على الأرض، لكي يشارك في التظاهرات وحركات الاحتجاج والتمرد ضد سياسات الحكومة، أو ضد ما يسميه النظام الجديد، أو ضد الخطاب السائد لليبرالية الجديدة.....»

هكذا يقف "بورديو" في قلب الصراع والمواجهات الجارية على الساحة الفرنسية حول القضايا العامة، وأخصها بالذكر دون المثقفين والصحافيين في الدفاع عن الحقوق والحريات في مواجهة هيمنة الوسائط الإعلام وأسواق المال.[1]

سعى المفكر على مدار عمله وجهده الدؤوب على كشف وفضح وتفكيك الآليات والمؤسسات الرمزية أو المادية للأطر الاجتماعية العائلة، المدرسة، الكنيسة الأحزاب....الخ وذلك من خلال التحليلات للعلاقات والممارسات الاجتماعية، كيف أنّ النظام الاجتماعي يظهر بقدر ما يبطن، ما يتأسس عليه بالذات (السيطرة والهيمنة عبر سلسلة من الامتيازاتوالاعتقادات والعادات الراسخة بوصفه بنية ثابتة وضرورية تمليها الطبيعة البشرية)أي يخفي منطق السيطرة ونظام الامتياز بقدر ما يقدم نفسه .

انتقل "بيير بورديو" من المقاربات والنظريات وعلم الاجتماع إلى النقد (التوجه النقدي) ليقاوم النظام الجديد المتشكل على المستوى الكوكبي متجاوزا الحدود والقارات، فالبنية لبورديو علم الاجتماع هو السبيل والآلية العلمية الدقيقة لفضح آليات الهيمنة والتمايز حيث يقول إنّ علم الاجتماع مثل كل العلوم وظيفته أن يكشف القناع عن الأشياء الخفية هذا العمل يمكن أن يسهم في تقليل العنف الرمزي الذي يمارس في العلاقات الاجتماعية وبخاصة في علاقات أدوات الاتصال الإعلامية.[2]

2-علي حرب، أصنام النظرية وأطياف الحرية (نقد بورديووتشومسكي) المركز الثقافي العربي،ط1، 2001، ص17.

[2]- بيير بورديو، التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، ص46.

المبحث الثاني: بيير بورديو وسلطة الأيديولوجيا

لقد عاش الإنسان الحلم في النصف الثاني من القرن العشرين بعد التطورات والتحولات الكبيـرة في مجال التقنية الذي مسّ مختلف المجالات من أدب وفن، وسياسة واقتصاد وعلوم.....

حيث اعتبر هذا التبدل قفزة نوعية وتاريخية مهمة تأسس لحضارة متينة سيمجدها التاريخ عبر أجيال، أجيال ستنعم بعالم وردي تقني وسهل يعمل على تعزيز أواصر العلاقات الإنسانية والتلاقي النفسي والتوافق العاطفي، رغم تباعد الأرواح، عالم يختزل حدود الفضاء والمكان في لمسة زر، فالخيال والسحر أصبح بفضل العولمة والتكنولوجيا حقيقة.

لعلّ "بيير بورديو" كان أذكى وأحرص من الباحث الكندي" مارشال ماكلوهان"فهو لم ير ما تفتحه العولمة من آفاق، وما يولده الإجراء التقني للعصر الإلكتروني من مزايا كما تفطن لخطاب المساواة والعقلانية والمصلحة ملغوم بالممارسات المعتمة وبالأهواء الفردية والمصلحة الذاتية فكل ما يحقق منفعة هو قيمة (الإنسان ذو البعد المادي).في حين أنّ الباحث الكندي تنبأ بأنّ وسائل الإعلام هي الحل الذي سيعيد أمجاد عدن بعد أن تسببت الطباعة في اختفاء وتغييب التواصل المباشر وتدعيم لحظات العزلة والاغتراب وهي الكفيل بإزالة الفوارق والاختلافات وإعادة العالم إلى التجانس (القرية الكونية).

يرى العالم الكندي "مارشال ماكلوهان" بأنّ وسيلة الاتصال لها دخل كبير في تحديد نوع الرسالة والأثر الذي تتركه مما تحمله الرسالة في حد ذاتها، فطبيعة الأداة التي تتولى عملية النقل تتحطم في تحديد وتوجيه العلاقات الإنسانية ضمن رؤيته المشهورة الوسيط هوالرسالة. وهذا ماعبّر عنه عبد السلام بنعبد العالي في مقالته (ثقافة الكتاب وثقافة الشاشة) بقوله: «إلاّ أننا ينبغي أن نلاحظ بداية أنّه حتى إن كان الأمر لا يتجاوز ذلك، ولا يعني إلاّ كيفية التبليغ وأدوات النقل، فإنّ له وقعا على المضمون ذاته وعلى القيم الثقافية ومعانيها ذلك أنّ حامل المعاني وشكل الثقافة لا بدّ أن يؤثر ففي مضمونها، هذا إن لم يكونا هما ذاتهما

مضمونين....ونعلم أنّ نقادنا القدماء قد سبق لهم أن أثاروا قضية حامل المعنى وعلاقته بالدلالة فلاحظوا أنّ النص يختلف معناه باختلاف الحامل الذي يكتب عليه».[1]

تنبه "بيير بورديو" لأهمية الوسيط وأثره على المتلقي المنوم مغناطسيا في ملذات العولمة المزيفة والأحلام الوردية التي صنعها الإعلام الغربي مستغلين في ذلك ضعف النفس البشرية وغرقها في وحل العالم الافتراضي الوهمي.

عمل "بورديو" وسعى في وقت مبكر على ضرورة خلق أشكال جديدة للحركة ونماذج فكرية وتنظيمية غير تقليدية لمواجهة المرحلة "الصدمة" التي يفضل تسميتها بعض المفكرين، والتي كانت الرأسمالية والنيوليبرالية (العولمة) السبب الرئيسي في ظهورها باعتبار أنّ الوسائل القديمة لم تعد مجدية لمجابهة التوحش الناجم عن تزاوج التكنولوجيا الجديدة وعالم المال.

يعتقد "بورديو" أنّ العلوم الإجتماعية والممارسة النضالية وجهين للعمل نفسه، إن تحليل الواقع الإجتماعي ونقده يسمح بالإسهام في تغييره، ربما يتبادر إلى الذهن مفهوم "جرامشي" عن (المثقف العضوي) لكن ما يدعوا إليه "**بورديو**" يتجاوز هذا المفهوم، وإن كان لا يتعارض معه فالمعرفة الملتزمة **عند** "**بورديو**" تذهب بعيدا في إضفاء المسؤولية المباشرة على المفكر أو المثقف فيما يمارسه من عمل علمي أو فكري.

[1]–عبد السلام بنعبدالعالي:«ثقافة الكتاب وثقافة الشاشة»، مجلة فكر ونقد، على الرابط: http//www.fikrwanakdalgabri abed.net

كما يربط "بورديو" بين سياسة الليبرالية الجديدة وبين زيادة الفساد ومعدل الجريمة وبين ما يطلق عليه "دوركايم" الخلل أو الفوضى.[1]

والانحراف عن النظام الطبيعي، لكن ما الذي يمكن عمله تجاه الأخطار التي تفرضها سياسات الليبرالية الجديدة، والتي تهدد مستقبل العالم بأكمله.وفي هذا الصدد يعلق الدكتور" فيصل دراج" في مقدمة كتاب "بييربورديو" (بؤس العالم) : «وعلى الليبرالية الجديدة التي تقيد وعي الإنسان قبل أن تقيد يديه أن تنتقل من صناعة ايديولوجية تدميرية إلى أخرى كي لا يبقى من الإنسان إلاّ ضله، والضلال تأتي وتذهب ولا تغير شيئا، وإذا كانت الحياة الفقيرة بالمعنى الاقتصادي مرجعا لثقافة الفقر ومتكأ لهما، فإنّ الليبرالية الجديدة رغم الحديث عن السوق والوفرة والمبادرة الحرة والديمقراطية تنتج وبشكل موسع وغير مسبوق شكلا جديدا من ثقافة الفقر بل الشكل الأكثر فقرا بامتياز»[2]

وكما هو معروف عن المفكر حاول كشف وفضح المسكوت عنه وراء العالم الساحر المتميز، والوقوف على تناقضات متكتم عنها، لمفهوم ليبرالي أنتج أقوى أنواع الفقروأخطرهوأحدثه على الإطلاق.

ذهب " بيير بورديو" خطوة إلى الأمام بإنشائه دار النشرRAISON DAGER التي قامت بنشر سلسلة من الكتب من القطع الصغيرة ورخيصة الثمن، موضوعاتها ساخنة ومثيرة تتميز بنظرة نقدية فاحصة تتجاوز المقاربات والنظريات إلى مجال ممارسي فغلي نقدي ومنها كتاب عن التلفزيون SUR LA TELEVISION الذي يحلل فيه "**بورديو**" حالة الميديا

[1]–بيير بورديو، التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول،ص11.

[2]– بيير بورديو، بؤس العالم،ج1، تر محمد صبح، مراجعة وتقديم فيصل الدّراج، دار كنعان للنشر، طبعة خاصة، 2010، ص 9.

ويسعى إلى إظهار تأثيرات شاشة التلفزيون وما تنتجه من برامج وصور بعيدة عن أيّ موضوعية

وتعكس رؤية للعالم غير محايدة سياسيا، وفيه تعرض "بورديو" إلى النقد اللاذع من الحلقات الصغيرة لكهنة الميديا والصحف والتلفزيون.

ناقش "بورديو" وبجرأة كبيرة دور هذه الوسائل في التلاعب والتأثير بعقول الناس وكيف تقوم بتشكيل الأفكار والوعي وتوجيهه ومن يقوم بالتحكم هل هم الصحافيون أم النظام أم البنية؟.

بقدر ما سعت الوجودية إلى إثبات الكينونة وطالبت أين الإنسان بقدر ماأعدمته ووقعت في العبثية بعد اختزاله في الجسد (الإنسان ذو البعد الواحد).

إنّ الحداثة والعولمة أنتجت إنسان آخر إنسان حداثي آلي (سيبورج) منح لنفسه واقعا افتراضيا جديدا عبر عمليات الحوسبة والرقمنة لا أصل له، وأصبح هو الحقيقة المطلقة فالتقنية اليوم أصبحت تهدد حياتها وقيمنا، فهل هي نهاية الإنسان الأخير كما عبر عنها فوكوياما؟ .

إنّ الوسيط اليوم المتمثل في النظم الإلكترونية ووسائل الاتصال والإعلام هو الأقوى والمسير، وبالتالي هو وحده من يملك الحق في الرسالة سواء من حيث المحتوى أو كيفية توجيهها، المكان الزمان وأهم شئ الأثر.

فالسؤال المتبادر في أذهاننا اليوم هو من يملك المعلومات؟

من يسيطر ويتحكم؟

هذه الجدلية القائمة منذ الأزل بداية بالسادة والعبيد، السادة الذين يملكون كلّ شيء ما في ذلك العبيد، فالشيء نفسه يلاحظ في الأشكال المختلفة التي طرأت على المجتمعات إلى غاية يومنا هذا، فهناك دائما من يملكون الوسائل الإنتاج وأدوات السيطرة والتحكم في المقابل هناك من يخضع ويسعى للتحرر، بداية من الإقطاع والرأسمال.

فالأمر لا يختلف بالنسبة لمجتمعاتنا من حيث المضمون فالمعادلة من يملك ويسيطر ويفرض رؤيته على العالم مازالت قائمة في حلّة جديدة أو مظهر آخر، نحن دخلنا إلى مرحلة مغايرة من مراحل التطور أو ما يسمى بمجتمع المعلومات .فمن ينتج ويتحكم في أدوات انتاج وانتشار هذه المعلومات بصورها المختلفة؟ داخل هذه البوتقة من المجتمع المعلوماتي يتأكد لنا لا محالة أنّ من يتحكم ويملك المعلومات ووسائل نشرها في المجتمعات المعاصرة هو الذي يسيطر، وبالتالي هو من يملك الحقيقة وهذا ما عبر عنه فريدريك نتيشة (إرادة القوة).

لكن مايتبادر إلى الذهن الآن هل نحن الآن أمام ميتافيزقياجديدة ؟يشير "بيير بورديو" الذي يدافع عن القضايا الاجتماعية والقيم العامة بنقده الشديد لليبرالية الجديدة واتخاذه من علم الاجتماع سلاحا سياسيا لكشف وفضح وتفكيك الآليات والمؤسسات الرمزية أو المادية للأطر الاجتماعية العائلة، المدرسة، الكنيسة، الأحزاب السياسية والدولة....إلى نقطة خطيرة جدا وهي ظهور ميتافيزيقا جديدة والمتمثلة في سلطة الإعلام فمن يملك الوسيط والصور والصور والأرقام يضع الحقيقة ويخلقها باستمرار خاصة ونحن نعيش ضمن ثقافة المشهد والأرقام أين أصبحت الكلمة والنص ليس لها وجود مادي بل كلّ ما يشهده الإنسان هو افتراض لصورانسلخت من التفرد والأخطر أنها خاضعة للمسيطر يعدّل فيها مثل ما شاء لغاية تبقى دفينة.إنّ هذا الارتحالوالانتقال الذي أحدثته الطباعة أحدث خلخلة في شتى الميادين بالرغم أنّه يظهر محمولات إيجابية وقفزة عالمية على مستوى الإبداع والبحث والتمكن، وبالرغم أنّه يمجد ما صنعه الإنسان بغية تسهيل حياته إلا أن ما لا يظهر والأبعد والأعمق هو ما يحمله هذا الارتحال من زخم في المصطلحات وتعبر في المفاهيم، مع بروز تاريخ لفترات زمنية تنعت بالحداثة وما بعد الحداثة.

تتأسس النظرية النقدية عند "بيير بورديو" وتعمل على تدمير البعد الرمزي من خلال نقده لوسائل الإعلام خاصة التلفزيون، فهو يرى بأنّ التلفزيون يساهم بشبكاته وبرامجه في تعطيل الوعي وتسطيح الثقافة فهو ليس للإشهاربل هو أداة فعلية للحجب والهيمنة.

إنّ التلفزيون والفضائيات التلفزيونية أصبحت الوسائل الأكثرمساهمة وفاعلية في الضبط والتحكم الاجتماعي في المجتمعات الحديثة، وهي أخطر أداة من أدوات العنف الرمزي تستخدمه الطبقة السائدة (المهيمنة) لصالحها وآلياته تشكل خطرا على الانتاج الثقافي والسياسي وفي هذا يصرح "بورديو":« هنا تمكن الأشياء الكبيرة والفطنة التي يمكن أن يدركها النقد الأكثر بساطة لكنّها تخفي الآليات المجهولة، الآليات الخفية التي من خلالها تمارس الرقابة على كل المستويات، والتي تجعل من التلفزيون أداة هائلة للحفاظ على النظام الرمزي».[1]

ولكن نحن نتساءل لماذا "بيير بورديو" ركز على نقد وسيلة الاتصال المتمثلة في التلفزيون بالتحديد تلك الشاشة الإعلامية الصغيرة ؟

هذا لأنّه وسيلة اتصال جماهيرية، ومن الوسائل السمعية البصرية الأكثر استعمالا وحضور وتأثيرا نظرا لجمعه بين خاصتي الصوت والصورة إضافة إلى الجاذبية والاستحواذ والتكرار.

*التلفزيون : وسيلة سمعية بصرية يخاطب عددا كبيرا من الأفراد في نفس اللحظة، وهو أداة لنقل مختلف الأخبار المصورة أفلام–حصص– نشرات– اشهار من البرامج التلفزيونية التي كانت تنقل بواسطة الموجات الكهرومغناطيسية ثم بواسطة الأقمار الصناعية، الشئ الذي أدّى إلى انتاج المئات من القنوات ونشرها في كل أنحاء العالم.

* الفضاءات التلفزيونية: هي القنوات المملوكة كدول وأشخاص وهيئات يخضع بعضها لسيطرة الدولة بينما يدار البعض الآخر بواسطة رأس المال الخاص وتبث هذه القنوات إرسالها بصورة غير مشفرة للجماهير إلاّ أنّ بعضها الآخر يذيع إرسالها مشفرا من خلال الشركات المتخصصة.

[1]–بيير بورديو: التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، ص44

وأيضا لسهولة استعماله وعدم تكليفه للمشقة مقارنة بالوسائل الإعلامية الأخرى، كما يعدّ مصدرا للتأثير وأحد عوامل التغيير الاجتماعي والثقافي والاقتصادي في المجتمع خاصة على الأسرة أين يكثر انتشاره واستخدام.[1]بالرغم أنّ "بيير بورديو" يظهر لنا أنّه ينقد بشكل مباشر آليات أحد منتجات التكنولوجيا الحديثة لكن في العمق وبأسلوب غير مباشر هو يحلل علاقة الأيديولوجيا بهذه التكنـولوجيا فلا يقتصر الدور الخطير الذي يلعبه التلفزيون على التأثيرالمباشرعلى المشاهدين ولكن التأثير يمتد إلى مجـالات أوسع وأشمل في الإنتاج الثقافي وهو ما ينبه لخطورته بشكل خاص.مما لا شك فيه أنّ المواجهات الأيديـولوجية التي كانت سائدة طول فترة الحرب الباردة قد انتهت بصورتها القديمة أي المواجهة وجها لوجه، وسيادة الخطاب الأيديولوجي المباشر لكن التحول الجديد الذي طرأ خلال السنوات العشر الأخيرة من القرن المنصرم وحتى الآن هو انفراد ما يمكن أن نسميه بالأيديولوجيا الناعمة. وتتمثل في تلك الجرعات اليومية بل اللحظية التي تبثها وسائل الإعلام وكذلك الوسـائط المتعددة وانتشار شبكات الأنترنات بهدوء وبلا ضجيج على عكس ما كان يتّم في السابق.[2]

المبحث الثالث: بيير بورديو ونقد وسائل الإعلام (التلفزيون)

سعى "بورديو" جاهدا إلى تفكيك سلسلة من الآليات التي تثبت أنّ التلفزيون يمارس نوعا من العنف "الرمزي" المفسد والمؤذي بشكل خاص، فالعنق الرمزي هو عنف يمارس بتواطؤ ضمني من قبل هؤلاء الذين يخضعون وأولئك الذين يمارسونه بالقدر الذي فيه أولئك

1- دليو فضيل، مقدمة في وسائل لاتصال الجماهرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،ط1، 1988، ص112.

2- بييربورديو: التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، ص24

كما هؤلاء غير واعين بممارسة هذا العنف أو الخضوع له، فالعنف الرمزي نوعان: عنف فيزيائي الذي يتمثل في الضرر الجسدي وعنف رمزي مهذب، يكون بواسطة اللغة والهيمنة والأيديولوجيات السائدة والأفكار المتداولة، ويكون أيضا عن طريق السب، الشتم، الإعلام، الدّين، وهو عبارة عن عنف لطيف وعذب وغير محسوس وهو غير مرئي بالنسبة لضحاياه أنفسهم، وهو عنف يمارس عبر الطرائق والوسائل الرمزية الخالصة، أي عبر عملية التعرف والاعتراف أو على الحدود القصوى للمشاعر والحميميات[1].

وعليه يرتبط العنف الرمزي بالسلطة والهيمنة، والحقل المجتمعي بمعنى أنّ الدولة تمارس عبر مجموعة من المؤسسات الرسمية والشرعية (الإعلام، الدّين، التربية والصحافة) عنفا رمزيا ضد الأفراد وهو أخطر من العنف الجسدي بكثير، يشير" بورديو" في كتابه الرمز والسلطة «بأنّ المنظومات الرمزية بما هي أدوات تواصل ومعرفة تشكّل بنيات وتخضع العالم لبنيات تؤدي وظيفتها السياسية من حيث هي أدوات لفرض السيادة وإعطائها صفة المشروعية الّتي تساهم في ضمان هيمنة طبقة على أخرى (العنف الرمزي)».

إنّالصورةلب لا واقعية المجتمع الواقعيفالثورة الإعلامية الآن بصدد إرساء عالم مغاير وبالتالي إنتاج علاقة جديدة للإنسان بذلك العالم،فالصدمة الإعلامية تجعلنا نواجه عالم تعجز مفاهيمنا البسيطة على استيعابه.

إنّ تزاحم الصور وتشابك القنوات التي تنقلها يولدان اليوم رؤية بلورية لواقع تبدل تمثلاتنا وحساسياتنا، وتتيح لمخيلاتنا العمل في فضاءات جديدة.

فالمؤكد هنا هو الاختلاف الواضح بين ما يتلاقاه الإنسان من أخبـار وحوادث وتبليغ مكتوب وبين ما يتلقـاه أمام الشاشة الصغيرة، فالصـورة تتيح نمطا مختلفا لبلوغ المعرفة والتمكن منها، إنّها أقوى بلاغة وأكبر قدرة على تكثيف المعاني وعرضها ونشرها.فيما عبّر عنه عبد السلام بنعبد العالي:«أن يرتوي المعنى حيرا وأن يلبس كتابة وأن يسكن دفتى كتاب

[1]–جميل حمداوي: «المفاهيم السوسيولوجية عند بيير بورديو»، على الموقع:www.alukah.net 2015-03-07 .

يحمل اسما بعينه، ليس هو أن يظهر صورة على شاشة صغيرة. والاختلاف بين الحبر والذبذبات الصوتية والموجات الضوئية، إنّه اختلاف بين ثقافتين بل بين رؤيتين للعالم أو على الأصح بين عالمين متباينين»[1].

فالأمرلايختلف بالنسبة للصورة تأتي المخاطرالسياسية المتلازمة للاستخدام التلفزيوني من حقيقة أنّ للصورة تلك الخاصية التي يمكنها أن تنتج ما يسميه نقاد الأدب تأثير الواقع الصورة يمكنها أن تؤدي إلى رؤية أشياء وإلى الاعتقاد فيما تراه، هذه القدرة على الاستدعاء لها تأثيرات ونتائج وخيمة يمكنها أن تخلق أفكار أو تعبيرات، أو توجه رأي أو ربما أخطر تشكله كما يمكنها أيضا، تخلق مجموعات.

فالأحداث المتفرقة الحوادث، الجرائم، المعارك، الحروب، الاختلافات الطائفيةوالسياسية يمكن أن تعبأ وتشحن بتورطات ومضامين سياسية وأخلاقية قصدا التأثير في الرأي العام وأغلبها بالسلب طبعا.فالتلفزيون الذي يدعم ويروج لهذه الأخبار والأحداث ضمن ما يسمى أو يتميز بالإثارة كالأحداث الدموية والجنسية بحيث يجعلها تتصدرالفقرات الأولى وتتكرر

خبثا وراء دعايا الإشهار محاولا بذلك تحويل الأنظار واستقطاب المشاهد وإلهائه عن أحداث وأخبار أكثر جدية وذات معاني وأهداف وقيم إنسانية وتربوية.

مستغلا في ذلك المشاهد الذي وهب نفسه قربانا لهذه الآلة جسدا وروحا كمصدر وحيد للمعلومات، هذه الفئة هي الأكثر عرضة للتزود بالمعلومات الفارغة والتافهة والتي يجهلها تتجنب المعلومات الملائمة منها والتي يجب أن يمتلكها المواطن كي يمارس حقوقه الديمقراطية ويضمنها.

[1]–عبد السلام بنعبد العالي:« ثقافة الكتاب وثقافة الشاشة»، مجلة فكر ونقد، على الموقع:
http//www.fikrwanakdaljabiri abed.net

وبهذا يكون التلفزيون الذي يسعى لأن يكون أداة لتسجيل الأحداث في الظاهر يصبح أداة لخلق الواقع فهنا تكمن الخطورة الفعلية وتظهر الأساليب الملتوية للأيديولوجيا الناعمة حين تصبح المعرفة "ليست تصورا للواقع بل صناعة له"

من خلال تغيير الشيء المراد معرفته واصطناع واقع جديد يشكله من يملك الوسيط والصورة والآلة أين يصبح الخداع والوهم والتضليل هو الحقيقة الوحيدة يقول عبد العالي بنعبد العالي: لكن ما ينبغي أن نلح عبيه هو أنّ الطفرة الإعلامية لا تضعنا فحسب أمام عالم افتراضي لا وجود فعلي له، أمام مجموعة من الصور، إنّها تضعنا بالأولى أمام علاقات اجتماعية تتوسطها الصور أمام عالم فيه للخدعة نصيب من الحقيقة والفعل والفعالية بل من الوجود الفعلي، عالم يكون فيه الشيء بقدر مالا يكون،فالصورة إذن "لب لا واقعية المجتمع الواقعي"[1]

يقول "بورديو":«لايمكن أن نقول شيئا كثيرا من خلال التلفزيون، وبشكل خاص عندما نريد أن نقول شيئا عن التلفزيون»[2].

نشر هذا النقد في مقالته بمجلة لومنديبلوماتيك نيسان 1996 بعنوان "استحالة نقد التلفزيون على شاشته". انطلاقا من هذا التصريح يرى المفكّر والناقد الفرنسي المشاكس "بورديو" أنّنا لا نستطيع قول أشياء والتعبير عن آرائنا وأفكارنا على التلفزيون، لأنّ التلفزيون في الحقيقة يخضع لرقابة خفية، ففي أيّ حوار تلفزيوني أو مقابلة صحفية تفقد استقلاليتها

فالموضوع المراد مناقشته قد تمّ في الحقيقة فرضه، كذلك الحوار والزمن وهذا طبعا بالتعاون مع الصحافيين أو مقدمي البرامج، ولعلّ أبرز مثال على هذا ما حدث بالفعل مع "بورديو" عندما دعي للمشاركة في حلقة تلفزيونية تبث في إطار برنامج مخصص أساسا لنقد التلفزيون بعنوان"وقفة مع الصور" مع معد البرنامج "دانيال شيدرمان" وكانت النتيجة بعد

[1]–الرابط السابق.

[2]–بيير بورديو، التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، ص34.

ساعة من الظهور خرج عالم الاجتماع محبطا، وغاضبا لأنّه شعر بأنّه مقيد ومحاصر بحيث لم يستطع أن يقول ما يريد، وبالطريقة الّتي يريد، إذا اكتشف أنّ الأولوية على الشاشة ليست للحجة أو القول بقدر ما هي لأشياء تتعلق بالشكل والهيئة أو الحركة و تعابير الوجه.ويحمل الناقد "بورديو" الصحفي المسؤولية من خلال ما يسعى إليه في ما يخص "السبق المثير" ذلك السبق الذي يهتم بما هو غير مألوف يمكن أن يتضمن الكثير من التأثيرات السياسية والتعبئة خاصة عند جهل الصحفي بالكلمة والخطاب، وهذا يتوضح أو يتمظهر في طريقة تقديمة الخطاب التلفزيوني الذي يحتمل في رموزه تأثيرا رهيبا على متلقيه.

ولقد دعا "**بورديو**" أن يمتنع المفكرون والمثقفون على التعبير عن آرائهم في التلفزيون إلاّ بشروط محددة فالتلفزيون آلة موجهة لجميع الناس فعلى هؤلاء أن يستشعروا المسؤولية بما يقدمونه في التلفزيون وإذا كان خطابهم يصلح أن يسمعهم كل الناس أو يرونه.

وعندما نتكلم عن الرقابة الخفية فنحن نقصد الرقابة الاقتصادية، فالذي يمارس الضغط على التلفزيونهو المحدد الاقتصادي، هذا ما يحتم علينا بالتأكيد عدم قول أشياء تتضارب ومصالح من يملك هذه المحددات، فكما لا يخفى علينا أنّ عالم الصحافة عبارة عن مجال في حد ذات، ولكنّه يخضع لمحددات وشروط المجال الاقتصادي من خلال عامل"الأوديمات"* هذا المجال التابع والخاضع للقيود التجارية يمارس هو نفسه تأثيرا وضغطا على جميع المجالات الأخر، انطلاقا من كونه بنية هذا التأثير البنيوي الموضوعي المجهول غير المرئي الموجود في الكواليس لا علاقة له البتة مع ذلك الذي نشاهده ونراه مباشرة فالتلفزيون ذو استقلالية ضعيفة.

من خلال هذا الطرح يثير "بورديو" نقطة خطيرة وهمة وهي هيمنة المجال الصحفي الإعلامي التلفزيوني عل الإنتاج الثقافي إذ يمكن للقوى والتلاعب الصحفية إعطاء قيمة ووزن لأشخاص دون آخرين، أو دعم منتجات من الثقافة المتوسطة وتقديمها على أنّها أعمال رائدة، إنّه –بورديو– يتهم الشاشات بأنّها تفبرك كتابا وعلماء وفلاسفة لا يستحقون

عن جدارة المواقع التي يحتلونها في مهنتهم المعرفية، لأنّهم لم يدفعوا ثمن الدخول إلى هذه المهن، وكما تقتضي قوانينها الداخلية بل هم ينتهكون المعايير المعتمدة في الحقول الّتي يشتغلون فيها كالأدب والفلسفة أو الاقتصاد بقدر ما يعتمدون على وسائل وقوى خارجية كالإعلام والسوق والعلاقات التجارية[1].فالإعلام اليوم يستطيع أن يكرس أسماء على غير مسمياتها وأعمال قد تكون غير مجدية ونافعة للمجتمع سواء كانت لفنان فيلسوف، صحفي وفي بعض الأحيان الإنسان عادي عن طريق التشهير والتلاعب بالصور والتضخيم الإعلامي، والسكوب " فوحده الإعلام يستطيع تحقير أو تشهير أعمال على حساب أعمال أخرى، وهذا ما يفسر واقعنا اليوم الذي أصبحت فيه راقصة فيديو كليب نموذج يحتذى به.

لقد بات دور الوسيط خطير جدا فيما يتعلق بمضمون أومحتوى الرسالة، فعلى الرغم من أهمية الرسالة في العصر الحديث، إلاّ أنّها غدت أسيرة الوسيط يثمنهاويضخمهارغم تفاهتها أو يقزمها ويقتلها رغم جلال شأنها، إنّ الرسالة باعتبارها مدلولا لا تذوب كلية في الوسيط الذي أصبح رسالة دالا ومدلولا في الوقت نفسه.[2]

وهنا يضرب مثالا "بورديو" مثالا آخر على أنّ التلفزيون ساهم بشبكاته وبرامجه في تسطيع الثقافة ويسهم لا محالة في تكريس أسماء على غير مسمياتها، من خلال اضراب المدارس الثانوية الشهير الذي حدث في فرنسا عام (1962م) حيث نرى كيف يمكن للصحفيين بكل النية الحسنة والسذاجة التامة مدفوعين بمصالحهم الشخصية الذين جعلوا من

*- الأوديمات: هو مقياس نسبة الإقبال و التي تتمتع بها القنوات التلفزيونية المختلفة، تتوفر حاليا نسبة ووسائل فنية تم إدخالها حديثا تسمح بقياس الأوديمات كل خمسة عشر دقيقة، بل ويمكن رصد التنويعات المختلفة وفقا للفئات الاجتماعية التي ينتمون إليها

[1]-علي حرب، أصنام النظرية وأطياف الحرية (نقد بورديووتشومسكي)، ص30.

[2]- عمر زرفاوي بن عبد الحميد: «العصر الرقمي وثورة الوسيط الإلكتروني»، ص112

مراهقين غير مسيّسين كثيرا ومن أولئك الذين لا يعرفون كثيرا ماذا يقولون، جعلوا منهم متحدثين رسميين باسم الحركة، بحيث تؤخذ أحاديثهم بجدية، كما أنّهم بأنفسهم أخذوا الأمر على نحو جديّ.

يعقب "بورديو" في هذا الشأن ويقول:«أمّا اليوم يجب استدعاء مستشارا متخصص ومؤهل في الإعلام يتم عمل بعض الخدع الحاذقة التي تشد اهتمام وسائل الإعلام وتصدمها، مع بعض التنكر والأقنعة الماكرة يتم الحصول بواسطة التلفزيون على تأثير ليس بعيد عن الذي يمكن أن تحصل عليه مظاهرة تتكون من خمسين ألف فرد».[1]

ويتفق الدكتور عبد الوهاب المسيري مع "بورديو" في أنّ الإعلام هو أنجح الوسائل في تفريغ الإنسان والهيمنة عليه، وتصعيد حرارته الاستهلاكية والجنسية مستشهدا بذلك على الإعلام الأمريكي باعتباره أذكى وأهم آليات الإمبريالية النفسية، ووصفه بأنّه غير كاذب وإنّما يجتزئ الحقيقة عن طريق التلاعب بالصورة وقوتها من خلال التركيب والحذف.

يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري: «والإعلام خاصة المرئي له سطوته وقوته، فهو يصل إلى منازلنا وعقولنا وأحلامنا بشكل مباشر، ويجب أن نتذكر أنّ الإعلام لم ينتخبه أحد، ولا توجد أي مؤسسات لمساؤلته رغم أنّ خطورته كاملة وأثره مدمر».[2]

يرى"المسيري" أنّ الإعلام المرئي هدفه إشاعة النموذج الاستهلاكي لتطويع الجماهير وتدجينهم وتنميطهم، بحيث يجد الإنسان سواء كان العادي أو غير العادي أنّ أسباب تحقق سعادته تتم عن طريق الاستهلاك فيصبح انسان ذو بعد واحد مختزل في السلعة والمادة ليغرق في دوامة استهلاكية، ويتزايد عنده سعار الاستمتاع واللّذة والذوبان في عالم الصورة والكليب والإعلانات الناجم عن التزاوج الاقتصادي والجنسي – وهنا ما يهدف إليه المحدد

[1]–بيير بورديو، التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، ص54

1-عبد الوهاب المسيري:« الإعلام والإمبريالية النفسية، على الموقع:www.elmessiri.com01-05-2007.

الاقتصادي – طبعا وهنا تختفي عند المشاهد أيّ مفهمة أو توجه نقدي ويفرغ من أيّ مضمون إنسانيّ لتصبح القضايا السياسية والمشكلات الكبرى لدسه مهمشة، وبهذا يفسح المجال لأصحاب المصالح لكي تبث الأمر في قضايا ومصير الأمة، في حين يبقى هو حبيس اللّذة الاستهلاكية الّتي تهاجمنا عنوة وفي عقر دارنا عبر شاشات التلفزيونوتعيد صياغة أحلامنا فالذي يستطيع أن ينعم بهذه الأحلام يذهب إلى عالم بعيد يخرج فيه عن الواقع، والتاريخ، والإنسان الذي يفشل في تحقيقها يصبح متطرفا، خاصة في ظلّ غياب برامج واعية وهادفة تدغدغ الفكر والحسّ الإنسانيّ الأخلاقي الذي تتأسس عليه رفعة الأمم.

المبحث الرابع: رؤية بيير بورديو لوسائل الإعلام في ميزان النقد

نحن لا ننكر أبدا أنّ "بورديو" حاول منذ عقود من العمل الأكاديمي أنتج من خلالها العديد من الأعمال والبحوث والدراسات أبرز بل شخص كيف أنّ المؤسسات الاجتماعية والسياسية والأكاديمية تقوم على احتكار المشروعية المتعلقة بمعرفة الحقيقة أو قول الحق أو تمثيل المصلحة العامة أو النطق باسم الهوية. كما لا ننكر أيضا أنّ بورديو تجاوزت نضالاته السياسية والاجتماعية اليسار التقليدي (الشيوعي والاشتراكي) الذي شهد إفلاسا فكريا وعجزا سياسيا، واستبدل بما يسمى" يسار اليسار" أو اليسار الجديد كانتفاضة على الركب التقليدي المسن، اتّفق العديد من الباحثين الذين ساندوا حركة "بورديو" الثورية على الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام والوسائط التقنية في التأثير والتلاعب بالعقول على حساب

صنع المعنى الحقيقي ويظهر ذلك في أقوالهم ومؤلفاتهم ونذكر على سبيل المثال "باتريس فلشي" وتعامله مع الوسائل الإعلام السمعية والبصرية كمؤسسات للاقتصاد والرمز، كذلك "جون ماري" وكتابه (التلفزيون كما نتحدث عنه) وأيضا (الدعاية المبطنة)، "ادغار مولان" في مؤلفه (روح العصر".....الخ. لقد كان الناقد الفرنسي ومازال محطّ أنظار العديد من المثقفين والباحثين بسبب ما قدمه من مواقفه عن تناقضات المثقف الملتزم الذي يرى بأنّ علم الاجتماع ما هو إلاّ امتداد للعمل السياسي معتقدا بذلك أنّ علم الاجتماع الذي يتأسس على –تحري الموضوعية–لا بدّ أن يدرس الظاهرة دون أن يتورط في انعكاساتها على الواقع الإنساني.

ولقد تكاتل عدد المناوئين لبورديو بعد بروز مجهوداته الجدية التي تمظهرت في نظرياته عن[1] الهيمنة في محاولة منه

لبعث حالة من الوعي لدى الفرد والجماعة، والتي ساهمت في تعرية وفضح كواليس الحقل الإعلامي التي لم يستسغها رجال السياسة بكل توجهاتهم وأرباب النفوذ وكهمة الميديا من رجال الإعلام وصحفيين، ولقد ارتفعت حمى هذه الحملة المناوئة للرائد الاجتماعي بعد ما أثاره كتابه (عن التلفزيون) وما تضمنه من نقد وتحليل وتفكيك للخطاب الإعلامي بكل شفراته، «وهو مالم تستسغه هذه الوسائل التي تعودت أن تصنع الإنسان – الأسطورة متى شاءت وتحطمه متى شاءت وبتواطؤ مع المنظومة السياسية المهيمنة وعليه لم يكن بدءا أن تواصل هذه الوسائل تقليدها في التهجم على الرجل مركزة على ما أسمته بالإرهاب

* هذه النظرية تُرَكِّز على إيديولوجية الطبقة الحاكمة , طرق التعبير عنها , والوسائل التي تستعمله الإقناع طبقة الفقراء والمستغلين بصحة الإيديولوجيا الخاصة بهم، فالطبقة الحاكمة تحافظ على قوتها عن طري قإقناع باقي طبقات الشعب بأن أهدافها وسياستها العامة صحيحة وصائبة . وهكذا تقوم الطبقة الحاكمة بتجنيد طبقات الشعب الفقيرة والمستضعفة لصالح إيديولوجيتها . يمكن القول بأن الطبقة الحاكمة لا تستمد قوتها فقط من الناحية الاقتصادية , وإنما تعتمد بالأساس على قيمها وأسسها الفكرية . أي أن الطبقة الحاكمة تعمل على نشر أفكارها ومبادئها في أوساط جميع طبقات المجتمع.

السوسيولوجي الذي يمارسه "بورديو" انطلاقا من رؤية كاريكاتورية للعالم تختزله إلى ثنائية المسيطر /المسيطر عليه».[1]

إنّ اقتحام "بيير بورديو" مجال الساسة وانخراطه في الشأن السياسي سمح لمناوئية من أصحاب القرار والذين لهم مصلحة في إبقاء آراء هذا العالم حبيسة أفكاره ومنع صرخاته من الوصول إلى مسامع الأفراد والجماعة، وذلك بالتشكيك في شرعية ومصداقية نظرياته العلمية اثر تورط هذا الأخير في حقل خارج اختصاصه، وهذا الأمر يدفعنا للتساؤل:

- هل بانخراط "بورديو" في مجال الساسة تنتقص من مصداقيته العلمية؟
- وهل أطروحات بورديوفي ما يخص سياسة الهيمنة ثوابت علينا تبنيها بشكل مطلق؟

لقد أتى "بورديو" ليغير النظرة التقليدية للعلوم الاجتماعية والتي اتضح لبورديو أنّها مضللة أو جزئية فتمّ استكمالها برؤى جديدة قد تكون غفلت عنها الفلسفة والسوسيولوجيا وذلك بالانتقال أو الارتحال من النظرية التي ما هي إلاّ تمرين ممنهج للمسؤولية الفكرية إلى مرحلة النقد والتشخيص ومعرفة ماذا نفعل عندما نقوم بالفعل العلمي، وذلك يكون بالتزام المثقف أو العالم بقضايا عصره، فمسؤولية العالم المثقف لا تنحصر في المشاهدة من بعيد

فبورديو لا ينظر إلى المجتمع كظواهر اجتماعية جاهزة يقوم الدارس بوصفها أوجهها وأجزائها في وضعها الخام بل ينظر إليه كعملية بناء تقوم على التمييز بين مجموعة من الحقول المختلفة بحيث لا يمكن فهم مستوياتها إلاّ بالنفاذ إلى نسق العلاقات الداخلية الجوهرية التي كانت بعيدة عن المساءلة، فموضوعات العلم لا توجد على نحو جاهز في الواقع ولايمكن تفسيرها انطلاقا من التمثلات الحاضرة عند جميع الأفراد التي لها ارتباط بالحس المشترك.

[1]–نصر الدين بن غنيسة، عن أزمة الهوية ورهانات الحداثة في عصر العولمة، منشورات الضفاف، بيروت، لبنان، ط1 2012، ص107.

يقول:"بورديو": فما هو مشيّد مسبقا يوجد في كل مكان ويجد السوسيولوجي محاصرا به، مثل جميع الأفراد، فهو مازم بأن يعرف عالما (العالم الاجتماعي) يعتبر هو نفسه عالما له.[1]

"بورديو" يتشارك مع ما دعى إليه "سارتر" الذي يؤمن بأن المثقف عليه أن يكون متورطا بشكل أو بآخر في قضايا ومشكلات عصره لأنّه مهما حاول أن ينفصل عنه –التزام الموضوعية– سيساهم لا محالة بموقفه السلبي في تعزيز وضع معين للطبقة المهيمنة فما يرفضه سارتر قطيعا هو المثقف المشاهد المتشبه بالعالم التجريبي الذي ينفصل عن المادة كشرط أساسي للوصول إلى نتائج علمية، لكن مايتبناه "سارتر" سيخلق بالتأكيد ما يسمّى (بالمثقف الأيديولوجي) الذي يسعى إلى تحقيق حلمه في تغيير مجتمعه بعالم أفضل ومثالي«فمفهوم سارتر للمثقف الملتزم يفترض إيمانه بقضية ما مؤسسة على مجموعة من القيم والمبادئ التي تعكس مفهوم الحقيقة لديه حتى وإن كانت هذه القيمة هي الحرية ذاتها فالحرية عند سارتر لا يمكن أن تنفصل عن المسؤولية هذه بدورها لا يمكن أن تأخذ أبعادها الإنسانية من غير أن تستمد كينونتها من مجموعة قيم كالعدل والحق وغيرهما أو ما يسمى باختصار بالأيديولوجية». [2]وفي المقابل نرى "فوكو" يميل لما يسميه بالمثقف المختص الذي ينفصل عن الواقع والتاريخ بل يتجرد عنهما.

وانطلاقا من فكرة المثقف المختص فإنّ فوكو « يرنو إلى تكثيف حيثيات الفعل الإنساني في فضاءات زمنية منغلقة على نفسها بحثا عن نسق معرفي يخضع الفعل الإنساني إلى مفهوم تجريدي يتمثل في القطيعة الابتسمولوجية».[3]

[1]–زهير قاسمي، النظرية الإجتماعية عند بيير بورديو، على الموقع:www.globalarabnetwork.com

[2]–نصر الدين بن غنيسة، عن أزمة الهوية ورهانات الحداثة في عصر العولمة، ص110.

[3]–المرجع نفسه، ص111.

وهذا مالا تتبناه العلوم الإنسانية باعتبار أنّ الباحث فيها جزء لا يتجزأ من الظاهرة عكس العلوم التجريبية. وإذا اعتمدنا هذا المنطق سنكون أغفلنا أهم خاصية من خصائص الواقع ألا وهي التغير والأخطر نكون اختزلنا التاريخ وبالتالي اغتلناه.وعلى خطى "فوكو"بورديو يهضم نموذج المثقف المختص الباحث عن الحقيقة بدراسة مختلف الظواهر حتى لو كانت بعيدة عن تخصصه وكفاءاته العلمية الّتي تؤهله إلى دخول معترك السياسة.

وتبقى دائما فكرة المثقف المختص والمسيس ورقة رابحة في يد مناوئية حيث يرى "علي حرب" أنّ ولوج "بورديو" في الحقل السياسي يتناقض مع ماأتى به من نظريته المبتكرة في تفسير المجتمع باعتبار أنّ المجتمع أو الفضاء الاجتماعي يتشكل من حقول تتصل فيما بينها بقدر ما تستقل عن بعضها البعض فالحقل يمثل نسق من المواقع الاجتماعية مبنية داخليا في ضوء علاقات القوة وكل حقل هو محل لعلاقات القوة.[1]يقول" بورديو" : من بين الأشياء التي يتحدد بها الحقل كالحقل العامي مثلا كونه يعين الرهانات والمصالح الخاصة بحقول أخرى(إذ لا يمكن أن نجعل الفيلسوف يدخل في الرهانات مع عالم الجغرافيا) والتي لا يمكن أن يدركها أي شخص غير مكوّن تكوينا يؤهله للدخول إلى الحقل)فكل فئة من المصالح تقتضي عدم الاهتمام ببعض المصالح والاستثمارات الأخرى مما يضفى عليها سمّة العبث و اللامعنى والتصعيد والترفع.[2]

يستشهد "علي حرب" بمقولات "بورديو" ويرى من وجهة نظره أنّ منطق النضال هو غير منطق المعرفة فالأول هو تطلع إلى ما ينبغي أن يكون، ولذا تسود فيه اللغة الخلفية والعقلية الطوباوية، وأما الثاني فإنّه نظر في ما يحدث أو تحليل لما يقع ولذا تسود فيه إرادة المعرفة ولغة المفاهيم ولذا فالعامل في حقل من الحقول لا يمكنه انتزاع المشروعية

[1]–محمد عبد الحوراني، النظرية المعاصرة في علم الإجتماع، التوازن التفاضلي صيغة توليفية بين الوظيفة والصراع،المؤسسة الجامعية، ط1، ص78.

[2]–بيير بورديو:«ماهو الحقل»، على الموقع: www.algabriabed.net

والانخراط في العمل، والإنتاج بشكل فعّال، إذا لم يكن مزود بما يسميه بورديو العرف (HABITUS) وهو منظومة الاستعدادات التي يكتسبها الفاعل في الحقل والذي هو رأسماله الخاص من المعتقدات والخبرات والمهارات التي تمكنه من اللعب عن طريق توليد الإستراتيجيات الموجهة أو اتخاذ المواقف المتميزة أو استثمارالرهانات النوعية وهكذا ينبغي للفاعل أن يكون على معرفة بأعراف الحقل حتى يعترف به.[1]

ففي ظل تباكيه على الاختصاص وحشيته عليه على حقول المعرفة من غير المختصين وفي ظل دفاعه عن مشروعيته العلمية، يرى "علي حرب" أنّ بورديو يقع في فخ نظرياته ويصر "علي حرب" على انتقاد "بورديو"بشراشة خصوصا بعد ما كتب مقالة عن التلفزيون إذ يرى أنّ الانتفاضة التي قام بها "بورديو" وحركته الثورية ذات آفاق مسدودة لأنّها أساسا تسير عكس التيار، فعداءه الصريح لوسائل الإعلام وبالأخص التلفزيون الذي حصره في كونه آلة جبارة لتغييب الحقيقة وتطويع الوعي لدليل قاطع على أنّه رجعي فموقفه معاد للغة العصر يصّر أن يعود بنا إلى الوراء، ويستشهد على ذلك بلجوء"بورديو" إلى طبع كتابه الأخير دون اعتماده التقنية الحديثة في الطباعة وتوزيع الكتب.

[1]–علي حرب، أصنام النظرية وأطياف الحرية (نقد بورديووتشومسكي)،ص33.

إنّ مايؤخذ على" بورديو" أنّ انقلابه الفكري والسياسي هو ضد ما يحدث وما حدث من انجازات وتحولات تقنية وضد الموجة الحارة من الزخم التكنولوجي في ظل تنوع أنظمة الوسيط المختلفة في مجتمع المعلومات، فاستبعاده لهذا التطور العلمي يغتال جهود أجيال وعقود من البحث العلمي لعلماء عكفوا على تنوير ورقيّ حضارات بأكملها.

خاتمـــة

إن مجتمع اليوم مجتمع رقمي وانسان اليوم انسان الي بجدارة ونحن كأفراد من هذا المجتمع نلمس الخطر الذي يحدق بنا في عقر دارنا، فانتشار وسائل الإعلام وغلبتها واستهلاكها لها بتهم شديد قضى فعلا على مبادئنا الروحية، والإنسانية والإسلامية التي سعى الآخر (الغرب) في طمسها في شكل أساليب خفية نسجتها العولمة ضمن ما يسمّى بالتقدم التكنولوجي.

إن ما سعى إليه الباحث الفرنسي من ثورة لكشف سياسة الهيمنة عن طريق نقد وسائل الإعلام (التلفزيون) التي بدورها اختصرت الإنسان في بعده المادي الاستهلاكي مغيّبة بذلك جوانبه الأخرى الأهم الإنسانية منها والروحية، هوما تنبأ به "فوكوياما" في موت الإنسان الأخير الذي ستقضي عليه الخارطة الرقمية.

فتواصلنا اليوم آلي بامتياز ومشاعرنا باردة تكاد توظف في شكل معادلات رقمية والدليل أننا أصبحنا نوثق اللحظات بالآلة بدلا من أن نعيشها بكل ما تحمله من جوانب انسانية ومعنوية، لم يعد للتواصل الإنساني الشفوي أثر في هذا العالم الجديد عكس الإنسان الماضي الذي عاش حياة طبيعية متوازنة تسامت فيها معالم الإنسانية والودّ والإخاء.

نحن لا نستطيع القضاء على هذه الوسائل ولا نستطيع أيضا تجاهلها أو الغائها فالأمر ليس بهذه البساطة لكن نستطيع بواسطة النقد أن نفضح آلياتها الخفية وكشف خطورتها، ولهذا علينا دائما دعم ما تسعى إليه المدارس النقدية اليوم إلى مساءلة نتائج تطور وسائل الإنتاج والبث الثقافي رافضة أن تأخذ بمسلمة أن التحديات التقنية ستؤدي بالضرورة إلى دعم الديمقراطية، بل بالعكس إلى الهيمنة والاغتراب.كما يجب علينا أخذ الحيطة والحذر في استهلاك هذه الوسائل والتدبر في ما تنقله لنا من حقائق ومعلومات وأخبار فليس كل ما يقدمه الإعلام صحيح، وفي هذا الشأن نضرب مثالا حي على ما تصدره الوسائل الغربية خاصة من حملات ضد الإسلام، هذه الوسائل منها (التلفزيون) تجنّد الصورة والخطاب الصحفي في تشويه نظرة العالم لنا بوصفنا بالإرهابيين.

فتزييف الحقائق لعبة قذرة يعتمدها الصحفيون لصالح مؤسسة ما.

وأمام هذا الأمر يجب أن نشجع الأصوات الإعلامية المتحررة من سلطة الخطاب المكثف بالمنفعة والممزوج بالمصلحة والخاضع لسطوة المحددات الاقتصادية، كما علينا أن نؤسس لإعلام هادف يسعى لإظهار الحقيقة لا لتغييبها.

إن "بورديو" انتقد وسائل الإعلام على مستوى الشأن الفرنسي لكن نحن نضم صوتنا له لنبحث في خطورة هذا الأمر على مستوى هويتنا الإسلامية التي بدأت تضمحل بعد بروز العولمة حيث أصبح الغرب له دور كبير في تشكيل هويتنا.

على المنظومات الرمزية بكل مؤسساتها ونحن كجزء منها أن نتكاثف على محاولة التعامل بوعي مع هذه الوسائط لكي نتجنب سلبياتها ونفعّل ايجابياتها وذلك باستثمارها في مجالات تفيد حياتنا وتحافظ على قيمنا.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1-المصادروالمراجع:أ- المصادر

1-بسام عبد الرحمان المشاقبة، نظريات الاتصال،عمان دار أسامة، للنشر والتوزيع ط1، 2010.

2- علي حرب، أصنام النظرية وأطياف الحرية (نقد بورديووتشومسكي)،المركز الثقافي العربي ط1، سنة 2001. (أرمون وميشال)ماتلار، تاريخ نظرية الإتصال، تر العياضي نصر الدين دار الفكر العربي بيروت، ط3، سنة2005.

3- الغذاميعبد الله، الثقافة التلفزيونية، وسقوط النخبة وبروز الشعبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2 سنة2005.

4- كامل خورشيد مراد،الإتصال الجماهيري والإعلام، دار المسيرة للنشر والطباعة والتوزيع ،ط1، سنة2011م.

5-محمد رجب، الإعلام والمعلومات في الوطن الوطن العربي في ظل ارهاب العولمة، عمان مؤسسة الورق،ط1،2007.

6-محمد عبد الحوراني، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، التوازن التفاضلي صيغة توليفية بين الوظيفة والصراع،المؤسسة الجامعية، ط1.

7-محمود علم الدين،تكنولوجيا المعلومات والاتصال ومستقبل صناعة الصحف،دار السحاب للنشر والتوزيع القاهرة، ط1،سنة2005.

8-نصر الدين بن غنيسة، عن أزمة الهوية ورهانات الحداثة في عصر العولمة منشورات الضفاف، بيروت، لبنان، ط1، سنة2012.

ب-المراجع:

1-(أرمون وميشال)ماتلار، تاريخ نظرية الاتصال، تر العياضي نصر الدين، دار الفكر العربي، بيروت، ط3، سنة2002.

2-بيير بورديو، التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، ترجمة أحمد درويش الحلوجي، دار كنعان للنشر،ط1، سنة .2004.

3-بيير بورديو، بؤس العالم الجزء الأول ترجمة محمد صبحي، مراجعة وتقديم د فيصل الدّراج، دار كنعان للنشر، طبعة خاصة 2010.

2-المجلات:

1- عبد السلام بنعبد العالي: «ثقافة الكتاب وثقافة الشاشة»، مجلة فكر ونقد»، على الرابط: http//www.fikr wanakdalgabri abed.net

2- عمر زرفاوي بن عبد الحميد: «العصر الرقمي وثورة الوسيط الإلكتروني قراءة في تحولات أطراف المنظومة الإبداعية»، مجلة قراءات، العدد الأول، جامعة بسكرة، سنة2009.

3- نورالدين تواتي: « مارشال ماكلوهان قراءة في نظرياته بين الأمس واليوم»، مجلة العلوم الإنسانية، العدد العاشر، مارس 2013 .

3-مقالات من الأنترنت:

1- بيير بورديو:«ماهو الحقل»، على الموقع: www.algabriabed.net

2- جميل حمداوي: « المفاهيم السوسيولوجية عند بيير بورديو،على الموقع:www.alukah.net 07-03-2015 .

3- حمد بن ناصر الموسى::«ورقة مقدمة للمنتدى السنوي السادس للجمعية السعودية للإعلام والإتصال ، الإعلام الجديد التحديات النظرية التطبيقية » جامعة الملكسعود، الرياض، 15أفريل 2012.

4- زهير الخويلدي: « نظرية الهابيتوس والرأسمال الرمزي عند بيير بورديو»

23جانفي2011على الموقع:www.arabtimes.com

5- زهير قاسمي: « النظرية الإجتماعية عند بيير بورديو، تغيير أنماط الصراع على الموقع:www.globalarabnetwork.com

6- صبحـــي درويش: « عالم الإجتماع والمفكر بيير بورديو»،على الرابط: http//www.tourathtripoli.com.الجمعة 18أفريل2008.

7-عبد الوهاب المسيري:«الإعلام والإمبريالية النفسية » على الموقع:www.elmessiri.com 01-05-2007.

8- محمد الخولي: «ماكلوهان ..حكيم الإعلام المعاصر»،على الموقع:www.albayan.com06 فيفري2001.

4-المحاضرات:

1- ربيحةنبار:« محاضرات في مقياس وسائل الإتصال»على الرابطhttp//www.elearning-univ-eloued.dz

2- الطيب بودربالة:«سيميائية الإعلام (مارشال ماكلوهان نموذجا) »محاضرات الملتقى الوطني الثالث، السمياء والنص الأدبي منشورات جامعة محمد خيضر، بسكرة 2004.

5-مذكرات الماجستير:

1-أريج عبد الفتاح البستنجي، ظاهرة ويكليكس: دراسة في الوثائق الأمريكية من وجهة نظر النخب العربية، رسالة ماجستير في الإعلام، جامعة الشرق الأوسط 2013-2014.

2-حنان كامل اسماعيل،دور المواطن الصحفي "في الحراك السوري من وجهة نظر قادة الرأي الإعلامي العربي"

الفهرس:

مقدمة:.....أ

-**هالفصل الأول:**مارشال ماكلوهان ونبوءة القرية الكونية.

-المبحث الأول: مارشال ماكلوهانو نظرية الاتصال الحديثة.....11-12

-المبحث الثاني: مارشال ماكلوهان ونبوءة القرية الكونية.....13-17

-المبحث الثالث: الوسيلة هي الرسالة.....18-26

-المبحث الرابع: رؤية مارشال ماكلوهان لوسائل الإعلام في ميزان النقد..27-29

الفصل الثانـــي:

نقد وســائل الإعلام

المبحث الأول: بيير بورديو المثقف السياسي.....31-35

المبحث الثاني: بيير بورديو وسلطة الأيديولوجيا.....36-42

المبحث الثالث: بيير بورديو ونقد وسائل الإعلام(التلفزيون).....43-49

المبحث الرابع: رؤية بيير بورديو لوسائل الإعلام في ميزان النقد.....50-54

خاتمة

قائمة المصادر والمراجع